بحوث ودراسات في علوم العربية والأدب

١٠

علامات الترقيم في اللغة العربية

تأليف الدكتور

فخر الدين قباوة





علامات الترقيم

في اللغة العربية

بحوث ودراسات

في علوم العربية والأدب

١٠

علامات الترقيم

في اللغة العربية

تأليف الدكتور

فخر الدين قباوة

دار الملتقى بحلب



للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م

التصنيف الموضوعي: ٤١٠

الموضوع: اللغة العربية

العنوان: علامات الترقيم

التأليف: د.فخر الدين قباوة

عدد الصفحات: ٧٢

قياس الصفحات: ١٧ / ٢٥

عدد النسخ: ١٠٠٠



للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا - حلب - طلعة الإنشاءات

هاتف: ٢٢١٤٩٦٧ / ٠٢١

تلفاكس: ٢٢٨٩٣٤١ / ٠٢١

جوال: ٠٩٣٤٦٦٩٩٨ - ٠٩٣٣٤٨٢٠٩

ص.ب: ٧٨٤٢

Email: info@dar-almultaqa.com

المقدّمة

لله وحده الحمد والشكر دائمًا وأبدًا، لِما أولانا من نعم الإيمان والعلم والعمل، ورسم لنا علامات الهداية والتوفيق، ويسر لنا سبل الخدمة لهذه اللغة الكريمة، لغة كتابه العظيم. وعلى محمد أفضل الصلاة والتسليم، وعلى إخوانه الأنبياء والرسل، وعلى آله وأصحابه أطيب الرضا والرحمة والبركات.

وبعد، فقد وجّهَنا الرسول الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى تقويم العمل وإتقانه بقوله الكريم: «إنَّ اللهَ ـ تَعالَى ـ يُحِبُّ، إذا عَمِلَ أحَدُكُم عَملاً، أن يُتقِنَهُ». فهو أمر غير صريح بوجوب تسديد كل عمل يقوم به المسلم، أيّةً كانت قيمته في الحياة ومصالح العباد والبلاد؟ وهو كالنهي عن الإهمال والاعتباطية، أو التسيب والاضطراب والعشوائية، في التصرف بسائر الأمور الدينية والدنيوية، لما فيه من إشعار بكره الله ـ تعالى ـ لمثل هذه الخِدمات الإنسانية المشوّهة.

ثم إن الكتابة عمل عظيم، كرّمه المولى ـ عز وجل ـ ورفع درجته بين الأعمال الدنيوية كلها، حين قدمها في الخلق، فكان «أوَّلَ ما خَلَقَ اللهُ ـ تَبارَكَ وتَعالَى ـ القَلَمُ. ثُمَّ قالَ لَهُ: اكتُبْ. فجَرَى في تِلكَ السّاعةِ بِما هُوَ كائنٌ إلَى يَومِ القِيامةِ». وعلى هذا فأنت ـ أيها الكاتب أو الناسخ ـ ممن

أعزّك الرحمن في عملك بهذا المخلوق الكريم، فأحرِ بكَ أن تتحرّى غاية الإتقان، فيما تسطر أناملك من علم أو فن أو فلسفة، لتحتفظ بالمرتبة الربانية العالية التي رُسمتْ لك في الدنيا والآخرة!

وإنما يتحقق لك هذا بجعل ما تكتبه للناس أو لنفسك في أجود صورة، تؤدي المقاصد بدقة وبيان. فبعد حسن الخط ـ وهو من وسائل الإبانة والعطاء المتقن ـ يجدر بك أن ترمم ما يضيع بين الكلمات والعبارات، من معالم الوصل والفصل والتلوين الصوتي، لتوضيح دقائق التعبير الكلامي، والعلاقات الحميمة بين عناصر العبارة الواحدة والنص كله.

ولهذا وضع لك الأجداد الكرام صُوًى وأعلامًا، محدَّدة مفصّلة مخصَّصة، تردّ إلى الكلام المسجَّل روحه التي افتقدها بالانتقال إلى الأسطر، بدلاً من أدائه باللسان. وقد استخدم العلماء والكُتّاب والنُّسّاخ تلك الوسائل الموحية، في كثير من المصنفات التراثية، ليقدموا لك الصورة العملية المناسبة، ثم وصفوا بعض ذلك في توجيهاتهم بالقول والفعل والتفسير البياني، فصار لديك زاد وافر تستطيع الاعتماد عليه، لصيانة كتابتك من التعمية والخلل والتضليل والفساد.

وقد كان لي، بما قرأتُ وكتبتُ وحقّقتُ من المصنفات والكتب، ووجّهتُ من البحوث الأدبية واللغوية، شرف الاطلاع على ما لدى المعاصرين من الاعتساف والاعتباطية في توظيف وسائل الترقيم. الأمر الذي يفسد كثيراً من المعلومات والمعارف، ويزود الناس بفوضى هذا الترقيم التعبيري، حتى لا تقوم للأبحاث والدراسات والتراثيات المنشورة قائمة ناجعة منجدة، في تكوين فكر ووضوح رؤية وسداد بيان، وتبقى في حيز القصور وفقدان العطاء.

ولقد طالما واجهتني اللَّمَزات الظاهرة والخفية، لأني أتابع باهتمام هذه العناصر، وأحاسب فيها نفسي أولاً والدارسين والباحثين والمحققين ثانيًا، وتناولتني ألسنتهم بالسوء والغيبة والنمائم، ويعلم الله ـ تعالى ـ مدى ما لقيت من التجني والافتئات في تلك الترهات.

كل ذلك لأن بعض الزملاء والطلاب والباحثين والناشرين يعتقدون أن علامات الترقيم هي من نوافل العمل وسطحيات الإجراءات الشخصية، أو الأشكال التزيينية للكلام. بل إن بعض من تابعتُ توجيهه عشرين أو ثلاثين سنة، في مثل هذه المتاهات أسدّد خطاه وأوجّه رُؤاه، قد أصبح يتشكي بامتعاض وتأفف من عبارات التوجيه وإشارات التصويب، ليعود إلى الانفلات والعشوائية السائدة بين الجميع.

ولما تابعت الأمر بحزم وإصرار، وطالعت ما انتشر في المطبوعات، من توجُّه استشراقي لتوزيع علامات الترقيم تلمست موطن الداء، داء العشوائية والاعتساف، ثم رأيت رغبة المخلصين للعروبة والإسلام في حضور ما ينجدهم ويسدد خطاهم، وينقذهم من هذه الزاوية المعكّرة بالتنطع والغوغائية والارتجال، وافتقادهم الدليل المخلص الوفي، والمرشد الواعي الأمين، فكان عليَّ أن أضع بين أيديهم كتيِّبًا، يختصر السبل ويقوّم الانحرافات، ويرسم الصورة العربية الإسلامية، لإجراء تنفيذ هذه العلامات، فيما تستغرقه السطور الفتيّة والشابّة.

ومن ثَمّ جمعت ما لديّ من الخبرة والمعلومات القديمة والحديثة، في هذه الحلقة العاشرة من سلسلة «**بحوث ودراسات في علوم العربية والأدب**» تحت عنوان «**علامات الترقيم في اللغة العربية**»، وعرضتها بشكل مفصل مع البيان والنماذج العملية الموضحة، والأدلة المُرْضية لكل

حريص غيور على لغة القرآن الكريم، يريد انتزاع صورها الكتابية من أحضان العولمات الغازية والتخريب الاستعماري الغاشم.

على أنني كنت أفضل أن يكون العنوان «**الترقيم التعبيري في اللغة العربية**»، لأن هذه العلامات المذكورة كل منها عبارة عن جملة أو أكثر، تدخل في التركيب اللغوي فعلاً، لتساعد على تمام الكلام وفهمه، مع قراءته صمتًا أو جهرًا، كما سيتبيّن لك ذلك قريبًا، إن شاء الله.

غير أنني عدلت عن ذلك، لئلا يغيب عن الناس إدراك فحواه، لما هو شائع في الاستعمال بينهم، فيُرغب عن الاطلاع عليه. وبذلك تضيع الفوائد التي قصدتُ. وما دام المصطلح الدارج واضح المفهوم، مقبول التلقي والانتفاع، فلا مُشاحّة في الاصطلاح.

ومهما يكن من أمر فإن ما تحصّل لديّ، من نثار هذا الموضوع، توزّع في فصلين: أولهما بعنوان «**التعبير الصوتي**»، حيث كان الحديث عما تؤديه اللغة المنطوقة من غايات واسعة المدى، يضيع كثير منها بالتسجيل الصوتي، وأكثر منه بالكتابة المعهودة، إذا سجلت بالمفردات والتراكيب الخالصة دون العلامات اللازمة. ولهذا جاء الترقيم التعبيري يقيم أود البيان، ويرمم الثُّغرات المنبثة في النص، ويقدم أقرب ما يكون من ملامح المضمون الكلامي.

وهنا عرضتُ ما كان في الجاهلية والإسلام، من مصطلحات صوتية، للتعويض من بعض ما فات الكتابة في النقلة الخطية، فكان للأدباء والقُرّاء والمحدِّثين توجيهات منهجية، للتعبير عن الوقوف والتنغيم والفصل والوصل، سُجلت برموز كتابية، مع بيان المفاهيم المرافقة لها. وقد تأثر الكُتّاب والمؤلفون والنُّسّاخ بذلك فيما يقدمون من التراث

الخطي، مع إضافات شخصية، في نفس الأسلوب المنهجي، تعزِّزُ المسيرة وتملأ ما يجدّ من المواقف التعبيرية الخاصة.

وبهذا كان لدينا رموز عربية خالصة في القرون الإسلامية الأولى، تستوعب الحاجات الكتابية، للتعبير عما يُفتقد في النقلة من القلب إلى الكتاب. وقد تمثلتْ هذه الصُّوى البيانية، في كثير من التراث الخطي، ثم كانت القمة في مجالس ابن مالك واليُونِيني مع المحدِّثين من علماء الشام، لتحقيق «صحيح البخاري»، إذ رافقته حصيلة اصطلاحية رمزية جديدة، توجتْها جهود الأزهريِّين، في عهد السلطان عبد الحميد، آخر سلاطين الخلافة الإسلامية.

هذا ما انتظم في الفصل الأول. أما الفصل الثاني فقد ضم «**الترقيم التعبيري في اللغة العربية**»، لنبسط ما شرع فيه المعاصرون من دراسة وبحث لموضوع الترقيم، إذ أصدر بعض المؤلفين والمحرّرين كتيّبات، تضع الضوابط والرموز اللازمة للنصوص.

ولقد كان في ذلك محاولات بدائية نافعة، لولا أنها وقعت في شباك العولمة مرارًا، فدخل النيةَ الطيبة شيء من الدَّخَن الاستعماري، خرَّب الطابع العامّ للعمل، ثم كان فيما عُرِض من التطبيق بين الناس خلاف للمرسوم من القواعد والمفاهيم. الأمر الذي يبين عدم وضوح الرؤية والتفكير والتخطيط والإجراء. وتوالت المحاولات في نفس الخط، مع بعض التعديلات الفرعية، فلم تستطع أن تجلي الوجه العربي الأصيل.

وهكذا سار الناس على غير هدًى، تتوزعهم التوجيهات والتوجُّهات المختلفة، فكان كل يتخذ لنفسه مسارًا ملتويًا، تضيع فيه معالم التعبير البياني. وفي المدارس والمعاهد والجامعات، أُطلقت الأعنة للتلاميذ والطلاب، يكتفون في الكتابة بنقل المعلومات دون رقابة أو عناية، على

الرغم مما في المناهج التعليمية من دروس مخصصة لعلامات الترقيم، وإلزام بمتابعة التطبيق العملي.

فلا غرو أن صارت الكتابات تتسم بالأمزجة الشخصية ـ ومحال عليك أن تدرك أسرار ملايين الأمزجة ـ فرأى القارئ الكريم أنّ تشتُّت التوظيف واضطرابه في النصوص المطبوعة يخرّبان عليه مسيرة الفهم والمتابعة لما بين يديه، وآثر إسقاط العلامات من حسبانه، والقراءة بمزاجه أيضًا. فإذا بما أريدَ له المعونة جهودٌ خُلّبيّة ضائعة.

وقد لاحظتْ بعض المجامع العربية ما نعيش فيه من فوضى مزاجية وخلاف سقيم، فأصدرت إقرار المبدأ والاصطلاح، ليسارع الخبراء في التخطيط والتوجيه. وقد حملنا هذا على توضيح مفهوم الترقيم، وتحديد علاماته وما تتلبسه من الوظائف في المواقع المناسبة لها، مع استبعاد الآثار العولمية الشائعة، وتفسير ما بين وظائف الترقيم وإشارات المرور، من قيمة حيوية في تنظيم والتفكير والتعبير، وما يكون من أخطار الاعتباطية في التعامل وإياهما.

ولقد تلمسنا، في خلال البحث والتنظير والتطبيق، ما خلّفه أجدادنا العرب والمسلمون، من جهود في الترقيم التعبيري، حدّدت ميدانه وأساليبه والمصطلحات والرموز والمفاهيم الملابسة لها، ونفذتْها في كثير من المصادر التراثية كتابة وتفسيرًا وتوجيهًا. جمعنا ذلك كله في البحث، وأضفنا إليه بعض اللمسات الفرعية، ليكون مناسبًا للعصر الحاضر، قريبًا مما ألفه الناس في الشكل والغاية والاستعمال.

وكانت المصادر التي اعتمدناها خلاصة آثار القدماء والمتأخرين من علمائنا العظام، فأشرنا إلى ذلك نصًّا، ثم أحلنا عليه في التعليقات الهامشية،

وزودنا كل جانب نظري بنماذج من التراث الخطي والمنشورات الطباعية، بما فيها من خير وشر، لتكون أمثلة حية على ما ذكرنا. وهي متعددة المنازع والأشكال فيما ترمي إليه.

ومثل هذا الموضوع يبدو للباحث أن مظانّه، في البحث والتطبيق، تتوضّع في مصنفات منهجية الكتابة. أعني «أدب الكاتب» لابن قتيبة ونظائره. ولكنني فوجئت بخيبة الظن فيها، إذ لم تعرض له إلاّ لمامًا . فكأن الموضوع بتفصيلاته كان حاضراً في الخبرة والذاكرة العملية، كما ذكرنا خلال البحث، يجري على الأقلام بطلاقة، فلا يحتاج إلى نص أو تتبع واستقصاء.

وعلى كل حال، فقد تيسر لنا تعبيد السبيل، وتحديد الأهداف والغايات، وبسط الوسائل والأساليب الموصلة إليها، مع التفسير والتفصيل والبيان، والنماذج العملية المختلفة، لتكون الأمور صالحة للحوار والتجربة والتنفيذ. نسأل الله سداد التوجه وإخلاص النية وحسن الختام.

كلية الآداب بجامعة حلب في ٣٠ من محرم لسنة ١٤٢٦

١١ من آذار لسنة ٢٠٠٥

الأستاذ الدكتور

فخر الدين قباوة

الفصل الأول

التعبير الصوتي

عندما نتأمل الكون والحياة، ونفكر في المسائل والموضوعات، أو نتابع الرؤى والانفعال والخيال، ونصوغ العبارات المؤدية لما تحصّل لدينا من المعلومات والتجارب والتطلعات، تتلبس الصيغ والتراكيب في الذهن بما يناسبها من أمواج التنغيم التعبيري، لنقل المقاصد الظاهرة والمرامي البعيدة، والأمواج الانفعالية المتوترة للصيغ والتراكيب، والظلال النفسية التي ترافق كل ذلك.

فالمفردات والأشكال اللغوية تأخذ حيزها في الذهن والجهاز الصوتي إطارًا هيكليًّا لتلك المقاصد والمرامي والأمواج والظلال، كصورة رمزية، شبكيةً تحيط بها وتحمل خطوط مسيرتها وتدفقها، بأشباح خلايا مفرغة جاهزة للنبض بالحياة، ثم تنثال المادة الصوتية المناسبة للدلالة على ذلك كله، وتتوضَّع في الخلايا لتملأها بالعناصر الفيزياوية كالأعضاء المجسِّدة كائنًا حيًّا نابضًا بالفاعلية والانفعال، يشغل الخلايا بحاجاتها المتطلعة إلى الوجود، مع ما يمازجها من تموجات الإيقاع التعبيري.

هذا ما يتكون في مطاوي النفس وأعضاء التفكير والتدبر والقصد للكلام الباطني. فإن أردنا نقله إلى حيز الوجود أطلقنا له العنان باللسان، فإذا هو يتلبس روحًا تمازج الهيكل والمادة، ليخرج بالتصويت كائنًا آخر، هو توءم السلف بكامل مضامينه ومقاصده ودلالاته وأمواجه وظلاله، وكأننا نضع السامع في قلوبنا، ليتحسس أعماق التدبر والبيان، من عناصر التفكير والتعبير والتصوير والانبهار.

ذلك لأنه يصطبغ بوسائل جديدة من العناصر الكلامية والنبر الإيقاعي.[١] فالمقاطع الصوتية تتوالى متفاوتة في القوة والضعف والتوسط، يمازجها كلٌّ من: النبر الدلالي الذي يمثل بيئة المَقام بمقتضى الحال، والنبر الصرفي الذي يتوضّع في الصيغ بأنواعه الأولية والثانوية، والمقطعية في الوقوف المتفاوتة المدى: وقفة داخلية لطيفة، وداخلية مستمرة، وخارجية مستمرة، و خارجية قاطعة، ونهائية خاتمة.

ويرافق كلًّا من هذه الوقَفات تنغيم خاص يناسب مقتضى الحال من مَقام ومَقال، ثم يكون آخرَ ذلك نبر ضعيف خافت في أساليب الخبر التقريري، أو متوتر عالٍ في الأساليب الإنشائية.

هذه آلية التنغيم الصوتي، مضافةً إلى التعبير اللغوي بالمفردات والتراكيب، يمارسها كل إنسان في حياته اليومية، أيًّا كان جنسه؟ ويتواصل بها هو وما حوله من الناس والأجهزة اللاقطة للكلام، فيكون الحوار والتعليم والإخبار والاستخبار والتعاطف الوجداني، كل منها مفعم بالشِّحنات الإيقاعية المذكورة قبل، نابضة بالحيوية معبرة عن كامل المراد، ومنطبعة في أذهان الناس وخلايا الأجهزة، في شكل تصويتي واحد، ومؤدًّى دلالي تختلف انطباعاته بين الجانبين المتلقِّيَيْنِ.

فما يتلقاه منك الإنسان الحاضر المواجِه المتنبِّه، من هذا التعبير الكلامي، يستغرق كل ما تريده وترمي إليه، لأنه يتلمس خلاله بحواسّه وتأملاته ما في جوارحك من الحركات والتقلصات والانفعالات، ويرمم الثغرات النفسية الخفية، بما لا تستطيع وسائل الكلام تعبيراً عنها. هذا هو الأصل، اللّهمّ إلّا إذا كنتَ تفتعل ما ليس في نفسك من المعاني، وتظهر غير ما تريد من التوتر والهيجان.

---

(١) انظر الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد ص ٥٩ ـ ٦٩.

أما ما يتلقاه الجهاز اللاقط للأصوات ويسجله من تعبيرك الكلامي فإنه يفقد ذلك التمثل الحركي وهاتيك التلمسات لكيانك الانفعالي، ويحمل ظاهر التصويت بما فيه من عناصر التنغيم فحسب. وبذلك تضيع معالم كثيرة غنية من مضامين الأداء الكلامي.

ثم إذا أردت أن تنقل أناملُك بالقلم ذلك التعبير من الذهن، لتسجله في أسطر أو صفحات، ضاعت في هذه النقلة عناصر التنغيم مع التحسس الحركي أيضًا، فصار النص أبكم يؤدي أشكالاً خطية، تقدم المعلومات مفرغة من البيئة الانفعالية والمضامين الصوتية الموجِّهة، بضروب النبر ومقاطع الوقَفات.

فهو إذًا في حاجة إلى صُوًى وأعلام تتخلل تضاعيفه، لتعويض ما فاته وغاب فيه من الشِّحنات الإيقاعية المتموجة خلال التركيب، أي: في حاجة إلى رموز كتابية، لها مفاهيم واضحة معيَّنة، تتخلل النص وتسدد بنيانه الدلالي، وتملأ ما تحصلَ من ثغرات فراغ التنغيم والإيقاع.

الرمزية اللغوية:

والواقع أن حروف المباني، أي: الألفبائية، هي رموز كتابية يحمل كل منها وظائف من التصويت في التركيب، للتعبير عما تتضمنه العبارة من دلالات ومقاصد وظلال. وهذا أمر مشترك بين جميع اللغات أيضاً، كل منها لها نصيب واف منه، مع خلاف في وسائل التعبير عن ذلك. والعربية لها في هذا تاريخ قديم جدًّا، يعود إلى أيام عاد، إرَم ذات العماد، منذ عشرات آلاف السنين. وهذه آثارهم بالخط المسماري في مواطنهم القديمة، جنوبيَّ الجزيرة العربية وشماليَّها.[١]

(١) انظر قصص الأنبياء ص ٥١.

فقد امتازت لغتنا الكريمة، عن سائر لغات العالم، بتوظيف رموز صوتية إضافية متعددة الطوابع والسمات: الأولى منها تقيم علاقات حميمة بين الأسر الاشتقاقية للدلالة على معاني المعجم والصيغ الصرفية، والثانية مُهِمّتها توطيد العلاقات بين المفردات في التركيب لمعاني الإعراب.[١]

وأنت ترى صور هذه وتلك موزعة في جميع اللهجات الفصيحة والعامّيّة المستعجِمة. فما كان للفصيحة استمر في تطور ونماء وتدقيق وحيوية حتى الآن، لدى القبائل العدنانية ومن جاورها أو عاش بينها، وما كان للعامّيّة بقي له بعض الآثار آماداً مختلفة في لهجات سائر أبناء إرم، الذين انتشروا من المحيط إلى الخليج، أمثال: الأكاديين والكنعانيين والفينيقيين والأقباط والآراميين والأنباط والسريان والبربر والعموريين والقحطانيين والأحباش.

على أن هذا الاستمرار كان ذا أشكال مختلفة. فالروابط المعجمية الصرفية كان بقاؤها أطول من روابط الإعراب، لأن الاندماج في شعوب أعجمية ليس في لغاتها مثل تلك العلاقات الحميمة نقل إلى ألسنة أبناء يعرب عدوى الاستعجام، فاضمحلت هذه الخصائص الثانية بالتدريج حتى اندثرت جميع آثارها، ولبثت الأولى تحمل صوراً كثيرة من ملامح الحضور، مع ضروب من الانحراف والامحاق.

وفي خلال تلك الرحلة الطويلة الأمد، تضيّفتْ إلى مجموعة اللهجات العدنانية رموز ثالثة، تتمثل في الحروف نقاطًا، لتشكيل أُسر متقاربة في الصورة دون اللفظ، بين ما هو معجم وما هو خال من الإعجام. وقد استطاعت هذه الضيوف الجديدة مع زميلاتها الصرفية والنحوية أن تجد لها حضوراً في كتابات العرب قبل الإسلام، بصور مختلفة في البيئات العدنانية.

(١) مشكلة العامل النحوي ص ٢٦ ـ ٣٠.

ولذلك ترى لدى كُتّاب الوحي القرآني تفاوتًا ظاهرًا، في درجة التثبيت لبعض صور الإعجام والصرف والإعراب، مما يتلقونه من فم النبي ﷺ. فكلٌّ يسجل ما تلقاه من قراءة بالأسلوب التحريري الذي أتقنه عن بيئته وقبيلته، من أشكال الرسم والضبط، مضافًا إليها شذرات من تقاليد البيان السياقي المعهود، الذي سنعرض له بعد قليل، إن شاء الله.(١)

ومن ثَمّ كان ما دوّنه هؤلاء الصحابة الكرام يحمل قراءات مختلفة، هي سِجِلٌّ كامل وافٍ للوحي القرآني، كما نقله الأمين عن الأمين ـ عليهما السلام ـ وبلا زيادة أو تصرف. ولما أراد عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ جمع القرآن الكريم، بكامل قراءاته الصحيحة الموثقة، علم أن استيعابها في مصحف واحد على تلك الحال غير ممكن إلاّ بإعادة الكلمة مرارًا، وفي ذلك تخليط واضطراب، ففرّقها في المصاحف الأربعة الشريفة،(٢) بعد أن جُرِّدت جميعها من النقط والشكل، ليحتملها ما صح نقله وتثبّتَت تلاوته بالتلقين النبوي، إذ كان الاعتماد في التسجيل هو على الحفظ في الصدور، لا على مجرد الخط.(٣)

ثم جاء أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٩) يجدد تثبيت نقط الإعراب والصرف، ويعممه بأسلوب منهجي كامل متقن، يشمل جميع النص القرآني، وتلاه نصر بن عاصم (ت ٨٩)، بتجديد نقط الإعجام وتعميمه منهجيًّا أيضًا، فكانا باعثَينِ ما أغفلته اللجنة العثمانية، وصارت المصاحف بعد ذلك تحمل من الضبط والشكل ما يمثل كل منها القراءة التي تلقاها

---

(١) انظر علم التحقيق للمخطوطات العربية ص ٧٦ ـ ٧٧.

(٢) المقنع ص ١١٥.

(٣) النشر في القراءات العشر ١ : ٧ ـ ٨ والبرهان ١ : ٢٣٥ ـ ٢٣٦ والإتقان ١ : ١٣٢. وانظر علم التحقيق ص ٧٨ ـ ٨١.

راويها عن شيوخه، وأصبح لدى الناس نسخ كثيرة، يستوعب مجموعها كل القراءات المسندة إلى الرسول الكريم، كما تلقاها عن جبريل الأمين.

غير أن ما يحمله اللسان من الإيقاع التعبيري لم يستطع أن يجد له شكلاً يتمثل فيه كاملاً، فبقيت ثغرات منه شاغرة، ملأها القُرّاء بما حفظوا عن الشيوخ المتقنين. ولذلك بَعثَ الخليفة الكريم مع كل مصحف قارئًا يعلم الناس التلاوة التامة لما هو مسجل فيه.

رموز عربية:

ومنذ قديم الزمان، كان أجدادنا الأبرار ومن عاصرهم من الأنجال والحفدة قد لاحظوا هذا الجانب التعبيري المفقود في الكتابة، فامتدت منهم أيادٍ ناصعة واعية، تمنح النصوص كثيرًا من الحيوية والقدرات الغائمة، بوساطة رموز شكلية تضاف إلى تركيب العبارة، فتعيد إليه الكثير الكثير مما التقفته سبل الانتقال الكتابي.

ولما كانت حركات الجوارح أمورًا مرئية، تعجز عن تأديتها وسائل الكتابة وأصواتها، فلا أقل من محاولة الاحتفاظ بما يمكن من المضامين الصوتية الموجِّهة، ليبقى للنص قدر كاف من إيحاءات الدلالة، وفوائد التعبير المكتسبة.

فقد جاء في قديم التاريخ،[1] عن الحارث بن أبي شَمِر الغساني، وجوب تمييز العبارات أو الجمل بفاصلٍ مّا يكون فيه وضوح معبّر، إذ كان يقول لكاتبه الشاعر المرقِّش الأكبر: «إذا نزع بك الكلام إلى الابتداء، بمعنًى غيرِ ما أنت فيه، فافصل بينه وبيِّن تبيعته من الألفاظ. فإنك إن

(١) كتاب الصناعتين ص ٤٤٠.

مذقتَ ألفاظك بغير ما يَحسن أن تُمذَق به نفَّرتَ القلوب عن وعيها، وملَّته الأسماع، واستثقلَته الرواة».

وروي عن أكثم بن صيفي أنه إذا كاتبَ ملوك الجاهلية يقول لكُتَّابه: «افصلوا بين كل معنًـى منقضٍ، وصلوا الكلام معجونًا بعضه ببعض». بل إن بُزُرجُمهر من الأعاجم أيضًا كان يقول لمن يرشده إلى البيان[١]: «إذا مدحتَ رجلًا وهجوتَ آخَرَ فاجعل بين القولين فصلًا، حتى يُعرف المدح من الهجاء، كما تفعل في كتبك إذا استأنفت القول، وأكملت ما سلف من اللفظ». وفي هذا بيان لتمييز الفِقرات بعضها من بعض.

ذلك وأمثاله، مما لم يصل إلينا خبره، عاش حاضرًا في أذهان كثير من الناس وألسنتهم وأقلامهم قبل الإسلام. ثم ازداد الأمر وضوحًا بتعاليم الإيمان والتبليغ والدعوة والإصلاح، وكثرة الاهتمام بالبيان في الخطابة والكتابة، فظهرت تجارب جديدة تزيد القواعد تفصيلًا وتِبيانًا.

قالت السيدة عائشة أُمّ المؤمنين[٢]: «ما كان رسول الله ﷺ يَسرد سردكم هذا، ولكـنّه كان يتكلّم بكلام، يُبيِّنُه فصلٌ، يَحفظه مَن جلس إليه». وقال معاوية بن أبي سفيان لكاتبه الأشدق: «ليكن التفقُّد لمقاطع الكلام منك على بال. فإنّي شهدتُ رسول الله ﷺ أملى على عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ كتابًا، وكان يتفقّد مقاطع الكلام كتفقُّد المُصرِم صريمتَه»[٣]. وأنتَ ترى في هذا اهتمامًا دقيقًا، بفصول واضحة لتمييز التراكيب والعبارات، وتمييزًا عامًّا يشمل جميع أشكال التعبير.

---

(١) كتاب الصناعتين ص ٤٤٠.

(٢) سنن الترمذي ٩: ٢٥٧. وانظر صحيح البخاري ص ١٣٠٧ ـ ١٣٠٨ وصحيح مسلم ص ١٩٤٠.

(٣) كتاب الصناعتين ص ٤٣٩. والمصرم: من تلِفتْ إبله فبقي عنده منها قطعة صغيرة.

وكذلك كان الشأن في الخطاب، تنبيهًا على ما يجب في الكتاب. قال الأحنف بن قيس: «ما رأيتُ رجلًا تكلّم فأحسنَ الوقوفَ عند مقاطع الكلام، وعرَفَ حُدودَه، إلاّ عَمرَو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ كان إذا تكلّم تفقَّد مقاطع الكلام، وأعطى حقَّ المَقام... حتى كان يقف عند المقطع وقوفًا، يحول بينه وبين تبيعته من الألفاظ».[1] وقد أضافت هذه المقولة مراعاة حق المقام، وما يكون فيه من أساليب الخطاب والكتابة، بألوان الخبر والإنشاء.

ولذا صار أمر الإتقان لوسائل التمييز بين التراكيب مقرَّرًا بين الكُتّاب، يراعون شأنه وأصوله، ويعطونها حقوقها في الثقافة المِهنيّة. حتى إنّ عبد الحميد الكاتب (ت ١٣٢) كان يمتحن المرشَّح للعمل بين يديه، فإذا كتب: «خبرُك، وحالُك وسلامتُك»، ففصل بين الكلمتين الأولى والثانية، يقول عمّا فعل[2]: «قد استكمل كلُّ حرف منه آلتَه، ووقع الفصل عليه».

وقد ذكروا أيضًا، من مظاهر الفصل الواجب، ما كان بمثل: «إنّ وحتَّى وبل وبلى وليس». وعندما سأل عمرو بن مَسعدة (ت ٢١٧) ـ وهو مشهور بالبلاغة والتقدم في الكتابة ـ أحدَ معاصريه عن خصائص الكاتب للرسائل، ذكر هذا له بينها: أن يكون عارفًا بالفصول والوصول... والابتداء والجواب.[3]

ونقلُ مثل هذه الأخبار، في مصادر التراث، يعني أنها جاهزة للحضور في الأذهان والألسنة والأقلام، تقتضي المراعاة بما يناسب مقتضى الحال من المَقال والمَقام. ولذلك فقد لاحظ علماء القرآن أهمية هذه الوسائل الدلالية، وهم يستخدمونها في القراءات عمليًّا، فوضعوا لها تقاليدَ معيَّنة

---

(١) كتاب الصناعتين ص ٤٣٨.

(٢) كتاب الصناعتين ص ٤٤٠ ـ ٤٤١.

(٣) صناعة الكُتّاب ص ٣٢.

تساعد على الأداء، ومصطلحاتٍ محدَّدة لتمييز بعضها من بعض، ورموزًا مخصوصة ضابطة ميسرة.

وإليك ما كان لديهم من الوسائل الرمزية، تقابل المصطلح أو الحكم في القراءة، مع خلاف يسير في بعض المواقع:

الوقف الممنوع = **لا**

الوقف اللازم = **مـ**

الوقف الجائز = **ج**

الوقف الجائز والوصل أولى منه = **صلى**

الوقف الجائز وهو أولى من الوصل = **قلى**

تعانق الوقفين بحيث يوقف على أحدهما ويجب وصل الآخر = **∴ ∴**

يضاف إلى ذلك ما يشار به إلى نهاية الآية بدائرة مرقومة، تفيد الوقف أحيانًا. وفي مجموع هذا، كما ترى، تعبير عن الاستمرار بالوصل، وعن النقطة وأنواع مواقف الفاصلة، مع زيادة ما لا يعرفه الترقيم المعاصر، وهو الوقف الممنوع والسكتة اللطيفة لتمييز اللفظ الدقيق، أو بيان صورته الصوتية قبل ما يوجب ذلك ـ أعني: يا هذا، أو يا فتَى ـ والوقف الجائز بين الشطرين وبعد القافية والسجعة بحسب المعنى، وفي آخر السطر لمن لم يحفظ تمام العبارة،[1] وتعانق الوقفَين، وما كان فيه الوصل أو الوقف أولى.

ثم تلا ذلك ما اصطُلِحَ عليه، من حروف ونقط وخطوط لأنواع الوقف على: السكون والروم والإشمام والتضعيف، وما ميزوا فيه الإمالة والتفخيم والترقيق، والهمز والتشديد والتخفيف والمدّ والإدغام بأنواعهما، وكلًّا من التصويت:[2] الاستثباتي والإنكاري والتذكري والترنمي.

---

(١) انظر فرائد العقود للحلبي الورقة ٢٠.

(٢) الترقيم وعلاماته ص ١٠. وأغرب ما في ذلك هو جعل الضمة مقلوبة للدلالة على الإشمام. انظر إصلاح المنطق ص ٤٢٠.

وللعلماء والقُرّاء أبحاث وإجراءات عملية، تبين تحرّيَ الدلالات المعنوية، في الوقف والوصل، لبيان المقاصد والمراد،[(١)] مع التزام التنغيم المعبِّر عن أساليب القول والبيان. وكان عبد الله بن عُمر قد أوضح ذلك قديمًا بنص مشهور،[(٢)] ذكر فيه أن الصحابة كانوا يتعلمون ما ينبغي أن يوقف عليه من النص القرآني، وما يكون في ذلك من أمر و زجر... وهذا يعني، بالإضافة إلى أحكام الوصل والوقف والابتداء، وجوب مراعاة النبر والتفخيم والتلبث، لبيان مقاصد الخطاب.

أما المحدِّثون فقد جعلوا الدائرة المذكورة قبلُ[(٣)] ـ وهي في الأصل كما قلنا للفصل بين الآيات الكريمة ـ لتمييز الحديثين أو الفقرتين أو الكلامين، واستخدموا حرف (ح) إشارة إلى التحويل من سند إلى آخر. وقديمًا اصطلحوا للعلامة بين المتعاطفين بما يشبه الفاصلة.

قال ابن الصلاح (ت ٦٤٣): «ويوجد في بعض أصول الحديث القديمة، في الإسناد الذي تجتمع فيه جماعة معطوفةٌ أسماؤهم بعضُها على بعض، علامةٌ تُشبه الضَّبَّةَ[(٤)] فيما بين أسمائهم، فيَتوهَّمُ مَن لا خِبرة

---

(١) جمال القراء ص ٦٦٧ ـ ٧٣٠ والبرهان في علوم القرآن ١ : ٣٤٢ ـ ٣٧٥ والإتقان في علوم القرآن ١ : ١٨٠ـ ١٩٤ ، ومصنفات الوقف والابتداء والتجويد من نحو: القول المفيد في علم التجويد.

(٢) انظر الإتقان ١ : ١٨٠ و البرهان ١ : ٣٤٢.

(٣) علوم الحديث ص ١٦٥ و ١٨١ .

(٤) علوم الحديث ص ١٧٦ وإرشاد طلاب الحقائق ص ١٤٨ وتصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة ص ٣٠ . والضبة نوع من التمريض لما في النص ، وهي الرمز بـ «صـ» إشارة إلى فساد في العبارة أو خلل ، أو وقوع إرسال أو انقطاع في الإسناد ، فتقتضي تنبيه القارئ ليحاول البحث عن الصواب ، إن أمكن .

له أنها ضبّةٌ، وليست بضبّة، وكأنها علامة وصلٍ فيما بينها، أُثبِتَتْ تأكيداً للعطف، خوفاً من أن تُجعل (عن) مكان الواو».

ولعلك لاحظتَ أن هذه الإشارة الأخيرة، لكونها رسمًا للحرف (صـ)، تعني فعل الأمر: صِلْ، أي: أن الكلام متصل مع ما فيه من انتهاء بعض عبارته. فهي تشبه ما يراد بالفاصلة فيما نعرفه اليوم. وقد علق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة على ذلك بقوله:

«فهذا النص مُعلِمٌ بانتباه المحدِّثين إلى إنشاء الفاصلة بين السابق واللاحق، لدفع التداخل بينهما، أو لدفع التصحيف بتواصلهما... فهم مستقلّون في ابتكارِ أصل أنواع علامات الترقيم الضابطة والفاصلة، ولم يقتبسوها من غيرهم كالإفرنج. بل لو قيل: إنَّ الإفرنج أخذوها عنهم واقتبسوها من كتبهم، لما كان بعيداً»[١].

ولأن جميع النُّسّاخ والكُتّاب والمصنِّفين يحفظون الشيء الكثير من القرآن الكريم، وبعض الأحاديث الشريفة، فإنهم كانوا يتدرّبون على ما نهجه القراء والمحدِّثون من وسائل التعبير عن الوقف والوصل والقطع والابتداء، وما يتخلل ذلك من أساليب البيان لمرامي الخطاب.

وقد انتقل إلى أعمالهم الكتابية بعض ذلك، بما يناسب الموضوعات التي يسجلونها بالقلم. ولهذا فأنت ترى التراث الخطي تتوزع فيه أنماط مختلفة من العلامات التعبيرية.[٢]

---

(١) الترقيم وعلاماته في اللغة العربية ص ٨ من مطبوعة بيروت لعام ١٣١٦ .

(٢) انظر النماذج المصورة في الصفحات التالية .

فقد تجد من يكتفي بالحرف (هـ) وسيلة لختام الفِقرة، ومن يضع لهذا الختام دائرة فارغة أو منقوطة للدلالة أيضاً على المعارضة، ومن يجعل نقاطًا ثلاثًا (⁘) لذلك الختام، ونقطة ضخمة (●) للفصل بين شطرَيِ البيت الشعري، ومن يصل الكلام عند الفراغ الاضطراري في السطر بالنقاط الثلاث، لئلا يُظن أن في الكلام سقطًا أو نقصًا. وقد تستخدم النقاط هذه وسيلة لإنهاء الجملة ضمن الفِقرة، ثم إذا انتهت الفقرة ختمت بالحرف (هـ). وإذا كان في النص اقتباس لكلام أحد من العلماء أو الأدباء حددت نهايته بالحرفين (اهـ) تعبيراً عن القول: انتهى.

فكل من أولئك يستعين بما يراه كافيًا في الدلالة، ميسِّرًا الاستفادة من دون التباس أو إيهام، مع الاشتراك في تنويع حروف الكتابة شكلاً وضخامة ولونًا، لتمييز العنوان من الموضوع، والمتن من الشرح، والنثر من الشعر، والنص من الحواشي والتعليقات الملحقة به.

على هذه الصور المختلفة أحيانًا والمتفقة أحيانًا، مع تفاوت في الاستخدام والتمييز، كان التراث الخطي يتحلى بصُوًى وأعلام، تساعد القارئ والناسخ على الاستفادة من النص، وإدراك العلاقات بين أجزائه ومرامي المؤلف أو الكاتب أو الشاعر.

فالحاجة حاضرة في أذهان الكُتّاب والنُّسّاخ والمؤلفين، يغذونها بما يناسب أعمالهم، ويفيد جماهير الدارسين والناسخين. وقد يضيف أحدهم رمزًا أو رموزًا، لبيان معلومات جديدة خاصة في ذلك الميدان.

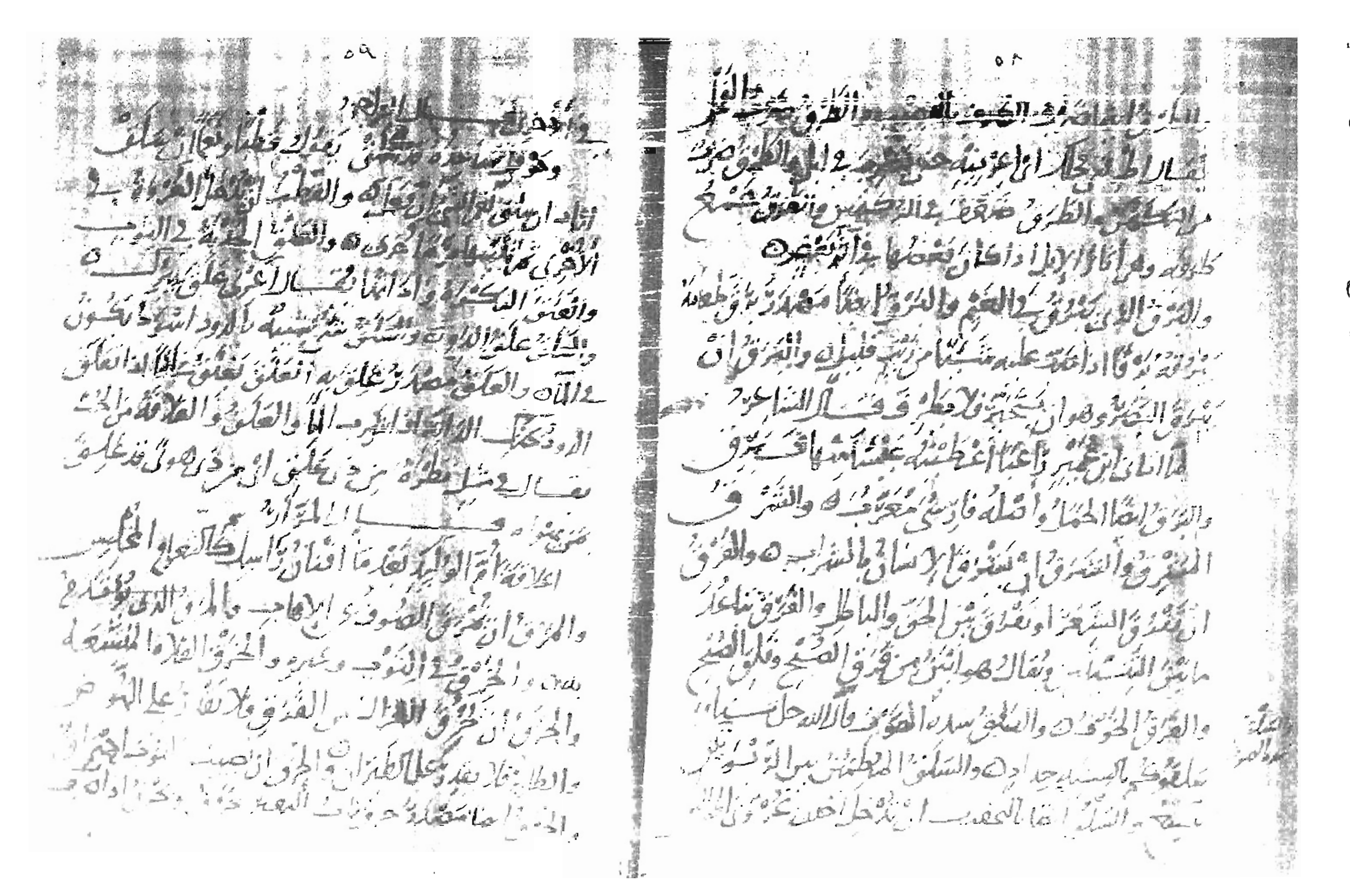


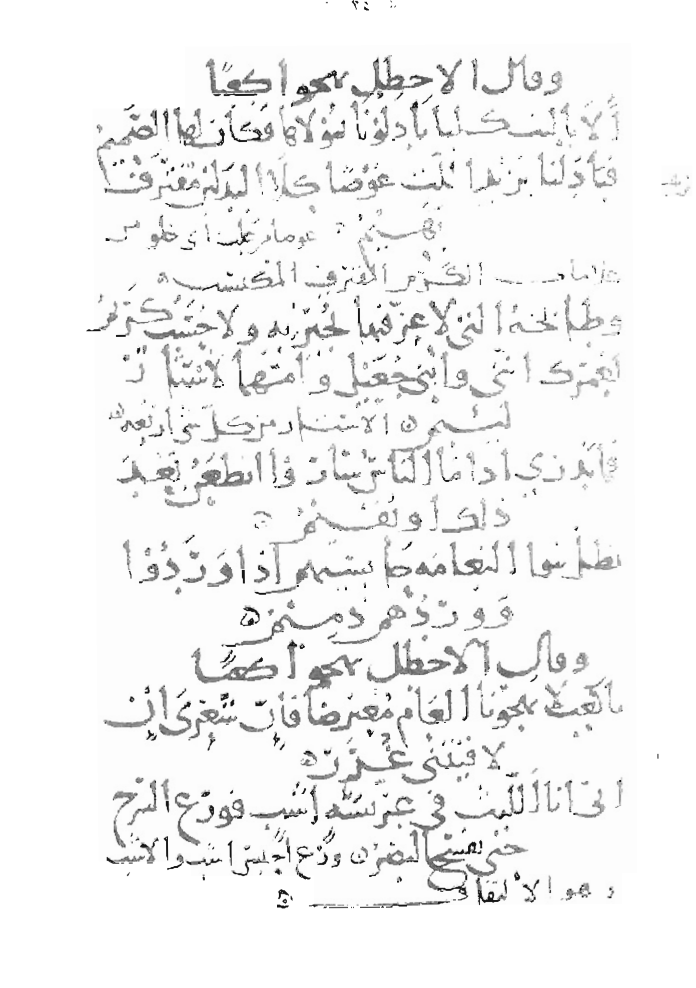
الى بني مالك بن حنظلة والعصب الشدة
والضيق
وإن التي أدت جرير بن فرتنة لخاينة العينين ضابية القلب
وما يفرح الأضياف أن ينزلوا بها إذا كان على الطلح كالملأ الشهب
الطلح شجر العضاه يقول لا يفرح
الأضياف أن ينزلوا بها في الشتاء إذا سقط
الجليد على العضاه فابيضت
يقولون ذبب يا جرير وزاننا وليس جرير بالمحامي ولا الصلب

وقال أيضا

بانت سعاد ففي العينين ملمول من حبها وصحيح الجسم مخبول
فالقلب من حبها يعتاده سقم إذا تذكرتها والجسم مسلول
وإن تناسيتها أو قلت قد شحطت عادت نواشطها فهو
مكبول

النواشط ما انشط إليه من همها وتذكرها
والناشط أيضا الخارج من بلد إلى بلد
مرفوعة عن عيون الناس في غرف لا يطمع الشمط فيها والتنابيل
التنبيل الدميم القليل الذي لا خير فيه
وهو التنبالة
تخالط القلب بعد النوم لذتها إذا تنبه واعتل المتافيل
اعتلال الأفواه تغيرها بعد النوم
يردي العطاش لها عذب مقبله وجيد أدم زانته التهاويل
الأدم من الظباء الحمر وهي أطول الظباء
أعناقا وأضخمها أبدانا ولها جدة في متنها
وهي ظباء الجبال والغلظ والآرام البيض





وقال الاخطل يهجو كعبا

ألا ابلغ كلبا بأدلونا لولاها فكان لها الضمم
فبادلنا بزيدا ليت عوضا كلا البدلين معترف

... عوضا من علينا اي خلوص

... الكرم المعروف المكتسب

وطاخة التي لا عرقبها لحيز به ولا لحست كرم
لعمرك اني وابني جعيل وامها لاستار ...

لئيم الاسناد من كل شيء ارنعه

فانذي اذا ما الناس شاؤوا فاطعن بعد
ذلك او تقسم

تطلبوا النعامه حاسيتهم اذا وردوا
فوردهم دميم

وقال الاخطل يهجو كعبا

ما كعب لا يهجونا العام معرضا فان شعري ان
لا فيني غزت

اني انا الليث في عرينه اشب فودع البرح
حتى يضيحا البضرن ودع اجلسن اشب والاشب

وهو الا لقاء

ودنما اي لبلى فاطفات ازهر واقربت عني
مرحبة الحلوق

وان يك قوم اضاعوا فانني حفظت لذي بني
وبين الفرزدق

وقال الاخطل يهجو اسويد بن صعوة السدوسي

وما جذع سوء خرب السوس جوفه لما حملته وابل المطيق
تطيف بسد ويرجوله وكانما عصى اشا او حب خيزرق

جاد اصفانا ان شعر تقطره وان كان ذا اذراقه
وذبقوق ويروى وحدق

فان تعض عن حراب بكر بن وائل فليس لنا سود انهم
لصديق

وقال الاخطل يرد على جرير وهجده

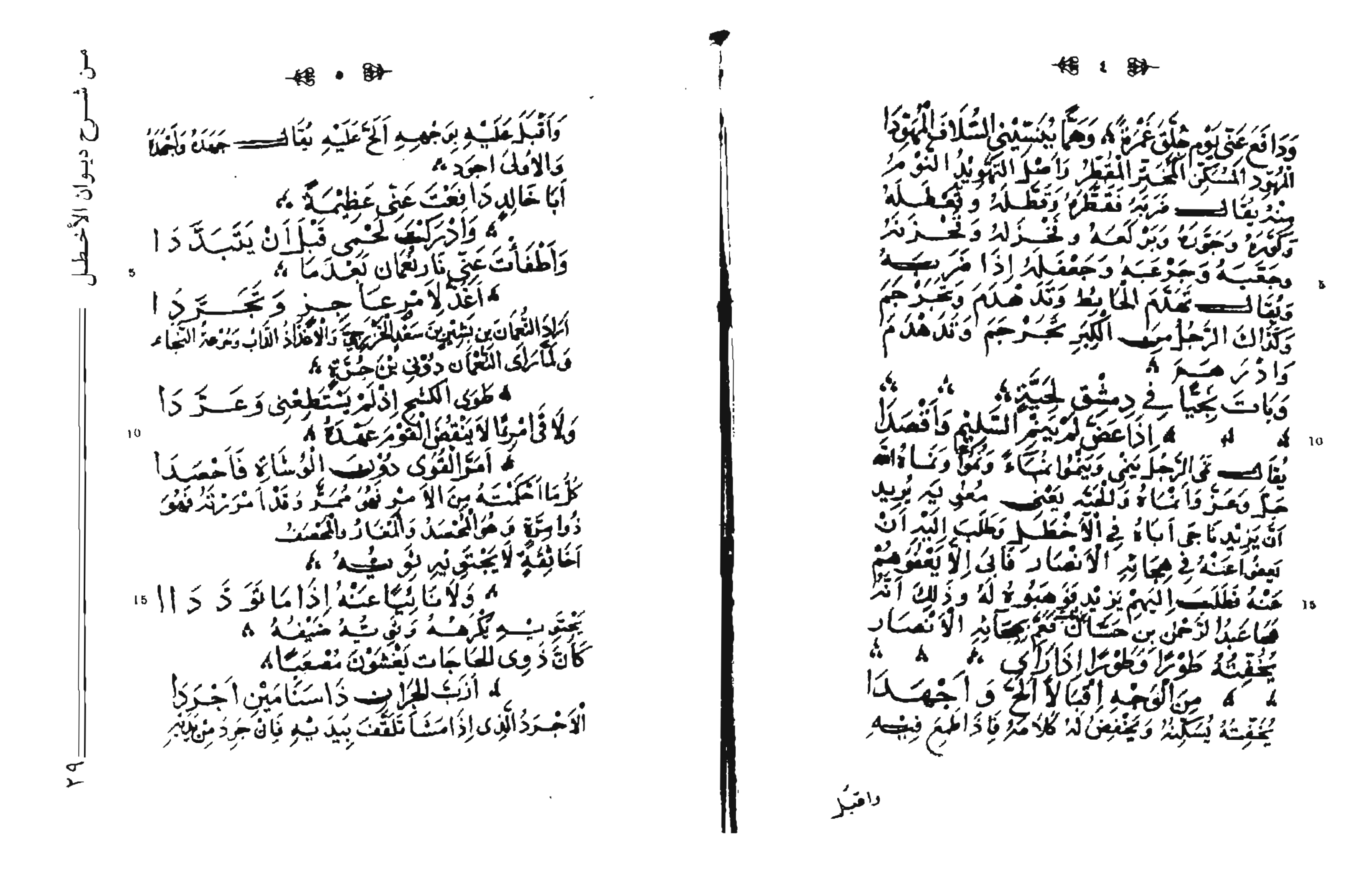
الى تقول مقالا لمن الديار بيرقة الروحان
بكرا العواذل يبتدرن ملامتي والعاذلون وكلهم لحاني

فزان سقت بشربه معقه صرف مشعشعه كما شان
وظللت اسقي صاحبي من بردا عدا ازويه كما زواف

ودكرت اذ حرت السماء وهمت سوقا الى ربا
وام ابان

فلما أسقط الألف واللام نصب على قطع الألف واللام
قال جرير ٥
هذا ابن عمي في دمشق خليفة ٭ لو شئت ساقكم إليّ قطينا
نصب خليفة على القطع من المعرفة من الألف واللام
ولو رفع على معنى هذا ابن عمي هذا خليفة لجاز وعلى هذا
يقرأ من يقرأ وإن هذه أمتكم أمة واحدة فإن
جعل هذا اسما وابن عمي صفته وخليفة خبر جاز الرفع
ومثل هذا قول الراجز ٥
من يك ذا بت فهذا بتي ٥ مقيظ مصيف مشتي
أعددته من نعجات ست ٥ سود جعاد من نعاج الدشت
من غزل أمي ونسيج بنتي ٥
معناه هذا بتي هذا مقيظ هذا مصيف وأما قول الشاعر النابغة
توهمت آيات لها فعرفتها ٭ لستة أعوام وذا العام سابع
رفع العام بالابتداء وسابع خبره وقال أيضا ٥
فبت كأني ساورتني ضئيلة ٭ من الرقش في أنيابها السم ناقع
فرفع السم بالابتداء وناقع خبره ٥ وأما قول الله تبارك
وتعالى وهذا الذي عبيد رفع عبيد لأنه خبر

نكرة كما تقول هذا أخي عبيد عندي ٥ والنصب
من الحال قولهم أنت جالسا أحسن منك قائما أي في حال
جلوس وحال قيام قال الشاعر ٥
أما النهار ففي قيد وسلسلة ٭ والليل في جوف منحوت من الساج
رفع الليل والنهار لأنه جعلهما اسما ولم يجعلهما ظرفا
وكذلك يلزمون الشيء الفعل ولا فعل وإنما هذا على المجاز
كقول الفصحاء في البقرة فما ربحت تجارتهم والتجارة
لا تربح فلما كان الربح فيها نسب الفعل إليها ومثله
جدارا يريد أن ينقض ولا إرادة للجدار وقال الشاعر ٥
لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ٭ ونمت وما ليل المطي بنائم
والليل لا ينام وإنما ينام فيه وقال آخر ٥
فنام ليلي وتجلى همي ٥
وتقول هو مني فرسخان ويومان لأنك تقول بيني وبينه
فرسخان فإذا قلت هو مني مكان الثريا وهو مني مزجر الكلب
نصبت لأنك لا تقول بيني وبينه مكان الثريا ولا مزجر
الكلب وقال الشاعر ٥
وأنت مكانك من وائل ٭ مكان الثريا من است الجمل



٤

ودائع عني يوم خلق عمرة * وهمّا ينسينني السلاف المهوّدا

المهوّد المسكّن المحيّر المفتّر، وأصل التهويد النوم، منه يقال: ضربه فقطّره وقطّله وتجعّله وكوّره وجوّعه وبركعه وتحزّله وتحزنره وجعّبه وجزّعه وجعفله إذا صرعه، ويقال: تهدّم الحائط وتدهدم وتجرجم، وكذلك الرجل من الكبر تجرجم وتدهدم وادّرهمّ *

وبات نجيّا في دمشق لحيّة * إذا عض لم ينم السليم وأقصدا

يقال: نمى الرجل ينمي وينمو نماء ونموّا ونماء، والله جلّ وعزّ أنماه، والحيّة يعني معاوية، يريد أن يزيد ناجى أباه في الأخطل وطلب إليه أن يعفو عنه في هجائه الأنصار فأبى إلا يعفوهم عنه، فطلب إليهم يزيد فوهبوه له، وذلك أن عبد الرحمن بن حسان ثم هجا الأنصار *

يخفّته طورًا وطورًا إذا رأى * من الوجه إقبالًا ألحّ وأجهدا

يخفّته يسكّنه ويخفض له كلامه فإذا طمع فيه

واقبل

٥

وأقبل عليه بوجهه ألحّ عليه، يقال جهد وأجهد والأولى أجود *

أبا خالد دافعت عني عظيمة * وأدركت لحمي قبل أن يتبددا

وأطفأت عني نار نعمان بعدما * أعدّ لأمر فاجر وتجرّدا

أراد النعمان بن بشير بن سعد الخزرجي، والأعداد الآبار ومرعة النجاء *

ولمّا رأى النعمان دوني ابن حرّة * طوى الكشح إذ لم يستطعني وعرّدا

ولاقى امرأً لا ينقض القوم عقده * أمرّ القوى دون الوشاة فأحصدا

كل ما أحكمته من الأمر فهو ممرّ وقد أمررته فهو ذو مرّة وهو المحصد والمغار والمحصف *

أخا ثقة لا يجتويه ثويّه * ولا نابيا عنه إذا ما توددا

يجتويه يكرهه وثويّه ضيفه *

كأن ذوي الحاجات يغشون مقعصا * أزبّ لعراب ذا سنامين أجردا

الأجرد الذي إذا مسّ تلقفت بيد به فإن جرد من وبر



29

قال الشاعر

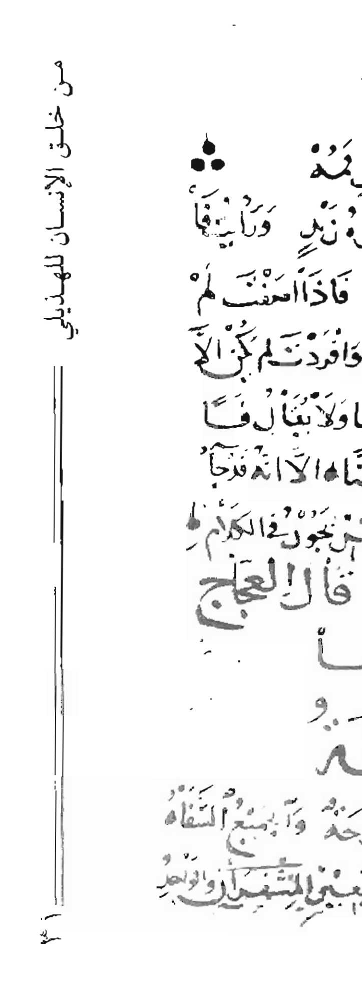
وقوله

قال الشماخ

قال الأصمعي

30

باب ...



بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب ما خالف فيه الإنسان ذوات الأربع من البهائم
والسباع والطير ، يقال فم الإنسان
وقد يقال للخاب يقال فمه وفم قال الشاعر

يفتح للضغم فما لهما
عن شدق كأن فيه السما
يضغم أطراف الطعام ضغما

الضغم العض يقال ضغمت في معنى عضضت يقال
ضغمه إذا عضه ، واللهم الواسع يلتهم كل شيء يبلغه
وقد يجوز الفم في كل شيء قال الشاعر

عجبت لها أنى يكون غناؤها فصيحا ولم تفغر بمنطقها فما

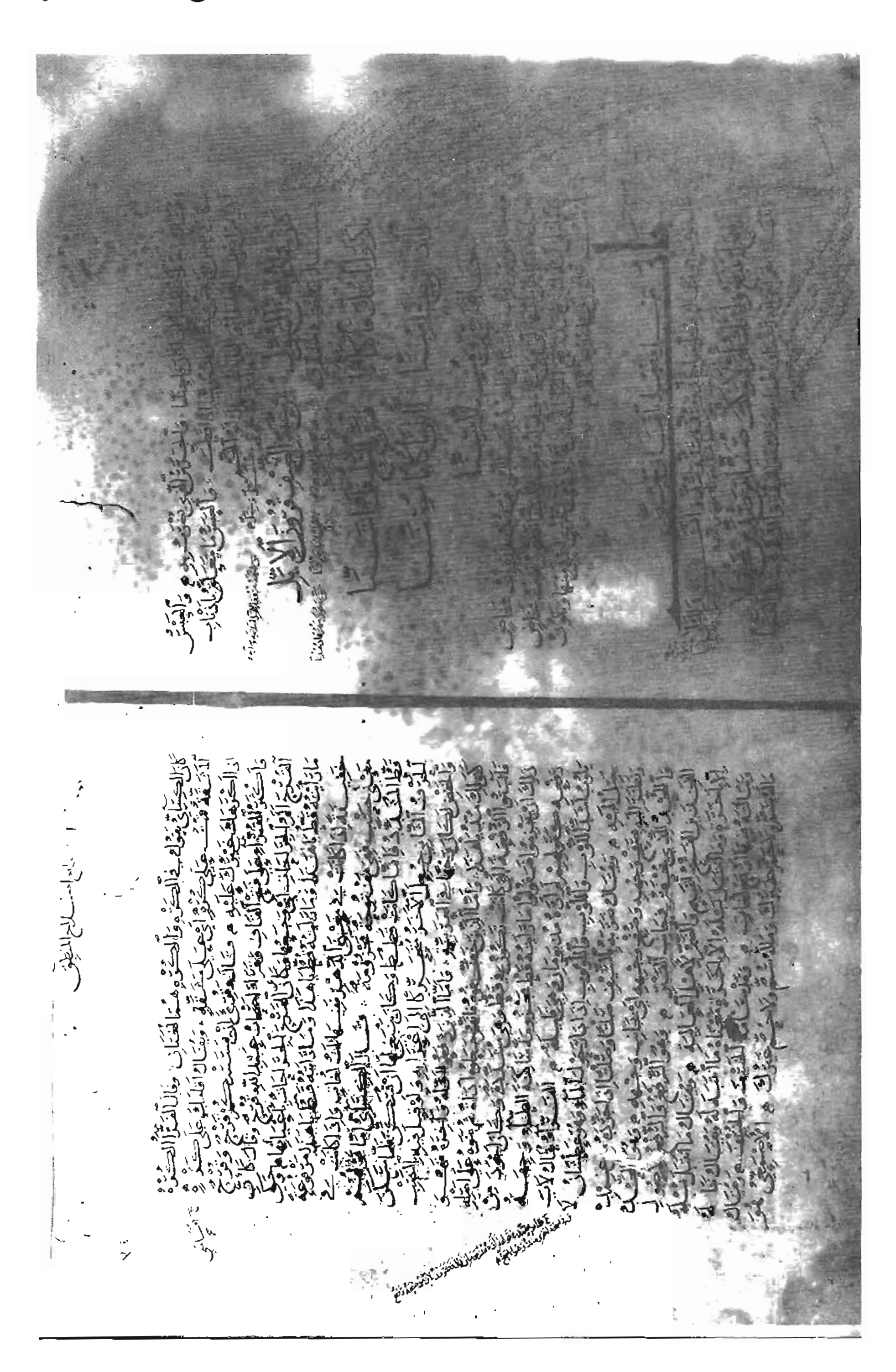
فجعل للحمامة فما فصيحا ، تفغر يعني تفتح
قال رؤبة كالحوت لا يرويه شيء يلهمه
يصبح ظمآن وفي البحر فمه

ويقال هذا فم زيد وهذا فوه زيد ورأيت فا
زيد ، ووضعت الشيء في فم زيد ، فإذا أضفت لم
تبال أيهما جئت به فإذا لم تضف وأفردت لم تكن إلا
فم ، وقولك هذا فوك فما جئتنا ولا يقال فا
جئتنا وهذا فيّ لا أقول فما جئتنا إلا أنه قد جاء
في الشعر ، وليس كلما يجوز في الشعر يجوز في الكلام
لأن الشعر موضع اضطرار قال العجاج

خالط من سلمى خياشيم وفا

ثم الشفة

فهي من الإنسان الشفة بالتاء مفتوحة وتجمع الشفاه
وهما الشفتان وهما من العين الشفران والواحد



وعلى الرغم من هذا كله، وما فيه من تأصيل للوسائل التعبيرية لدى أجدادنا القدماء، وما لهم من أيادٍ ناصعة ورموز محددة في هذا الميدان، فإن المستشرقين وتلاميذهم المستغربين[١] من العرب والمسلمين ليزعمون أن ما نستعمله نحن اليوم هو من إنجازات الغرب ورجالات الاستشراق، وأن أول من تنبه إلى ذلك هو أرسطوفان،[٢] من علماء القسطنطينية في القرن الثاني قبل الميلاد.

والحق أن رجالات الاستشراق، عندما وقفوا على هذه الظواهر الفنية في أساليب التعبير الكتابي، لم يستوعبوا مقاصدها العملية، لبعدهم عن الحضارة الإسلامية وحقدهم عليها، فنقلوا بعضها بالتدريج والقصور، وحاولوا استخدامها فيما يكتبون أو ينشرون من تراثنا السليب، فوضعوا لها رموزًا جديدة للتعمية والانتحال، واضطربوا في التوظيف ومواضع الاستخدام.

ثم أقحموا فيها الفاصلة المنقوطة ورموزاً مفتعلة معقدة، زيادة في التعمية، ولم يكن لها وضوح في أذهانهم، فانتقلت إلى آبائنا الأقربين مع صويحباتها، على أنها جميعًا من مبتكرات الفكر الأوربي، كما ترى في مقولات المنظرين من ربائب الاستعمار. وما زالت الأصوات تتعالى بيننا بمثل هذه المزاعم، حتى إن الدارسين والمدرسين يرونها ويسمعونها وينقلونها في كل سبيل، وإن كانوا لا يحسنون الاستخدام والتوظيف.

فقد كانت هيمنة الاستعمار ورجاله تفرض الأحكام العلمية والفنية، ولا تجد من يناقشها في صفوف الأجيال المعولمة بالتلويث الحضاري. وإنك لتتلمس بنفسك اليوم أن أولئك المستشرقين قد وضعوا نتاجًا عمليًّا، فيما نشروا أو صنفوا من الكتابات العربية، مفعمًا بالعشوائية والاعتساف وطلاسم

---

(١) انظر المساعد على بحث التخرج ص ٧٨ ـ ٩٠.

(٢) الترقيم وعلاماته في اللغة العربية ص ٤ - ٦.

الرموز والتقطع والفوضوية والاضطراب، على غرار ما ينثره المشعبذون من السَّحرة والضاربين في المندل، وخلواً من كل نهج أو رسم أو بيان.(١)

وما ذلك إلاّ تعبير عن الاستهانة بلغتنا الحبيب، والاستعلاء والغطرسة من مخلفات العولمة والتبويش، إذ تراهم فيما يضعون من مصنفات في لغاتهم يكتفون بالفاصلة والنقطة وقليل من النقطتين وعلامة الاستفهام، ثم يوظفون من ذلك في كتاباتهم ما يناسبها من العلامات الرمزية، بدقة وانتظام ووفاق. فلماذا تكون البلبلة في مكان وظاهر العناية في آخر؟

لقد لمستَ بعينيك وقلبك أن مضمون التعبير الإيقاعي مستوفًى برُمّته، في أذهان العرب والمسلمين وألسنتهم وأقلامهم. بل إنك لتجد في التاريخ ما هو أبعد من هذا في الرمز والإيحاء. فقد روي عن أخوين كانا في قديم الزمان متخاصمَين متنابذَين، لا يتبادلان الكلام في السَّنة كلها، وهما يعملان معًا في الرعي. فإذا كان وقت العمل قال أحدهما للآخر: ألا تا؟ أي: ألا تنهضُ؟ وأجابه الثاني: بلى فا، أي: بلى فانهضْ. ولما غضب النبي الكريم لتشامخ أنصاريّ بالبناء، فهُدم ذلك، قال عليه السلام: «أما إنَّ كُلَّ بِناءٍ وَبالٌ علَى صاحِبِهِ، إلّا ما لا، إلّا ما لا».(٢) يعني: إلّا ما لابدّ منه.

ولمّا نزل الوحي المبارك بما في القرآن العظيم، وبلّغ النبيُّ ـ عليه السلام ـ أصحابه ما ورد في أوائل بعض السور من أحرف متقطّعة، ذهب العلماء منهم في تفسير ذلك مذاهب متعددة، تشير إلى الوظائف الرمزية التي تحملها في توجيهات المولى ـ تعالى ـ للبشر، وفي الفكر العربي وعروبة اللسان. وقد كثرت هذه التأويلات بين المفسرين واللغويين والنحاة،(٣) دلالة على سعة الأفق الرمزي وشَياعه في اللسان العربي.

---

(١) انظر النماذج المصورة في الصفحات التالية.

(٢) الحديث ٥٢٣٧ في سنن أبي داود.

(٣) تفسير الآلوسي ١: ١٧١ ـ ١٧٢.

1101 mit النِبابات — *15.* s. *104*, *8* mit نُعَادِرُ — *19.* جافٍ steht in den Cod. Cod. hinter فَجْشِرٍ — *21.* s. *121*, *4*.

156. *4.* s. *91*, *16. 17. 121*, *8.* — *13.* l. وَنْخضا; von رؤبة, Diw. 29, 61, wie auch Lis. s. v. بحج; vgl. Diw. des العجاج 19, 30. Kitâb I, 147, 4. — *15.* s. *49*, *2. 63*, *14.* — *18.* Von رؤبة, Diw. 29, 48; anonym zitiert in der Handschrift zum Diw. des العجاج bei dem V. Diw. 19, 14 mit كَأَنَّ — *21.* Diw. A. 53, 27. Ja'îš 1371.

157. *8.* s. *116*, *19.* — *13.* صلوة الخ nicht im Cod. H. — *15.* Cod. H. hat noch folgenden Zusatz, dessen Lesung bei seiner ungemein flüchtigen, meist unpunktierten Schrift, nicht überall sicher ist (vgl. Šâ' Z. 242 sqq.):

سمعه وأبو الفضل محمّد بن ناصر بن محمّد بن عليّ وأبو نضر محمود بن الفضل بن محمود الإصباهانيّ وابو محمد بن سعد الله بن عليّ بن الحسين أيّوب وأبو منصور. . . بن الدمد(؟) طابوق الزكّيّ ومحمد بن محمد بن الفضل بن دلّال الشّيبانيّ وأحمد بن محمد ابن أحمد المؤدّب أبو الفيلم ورامية(؟) بن عوض بن الحسن الهرديّ وعبد الله بن طاهر ابن عليّ بن فارس والحسين بن محمد بن خسرو البلخيّ والحسين بن عليّ بن الحسين يعرف بطهزاذه الكوفيّ في شعبان من سنة أربع وتسعين وأربع مائه

بلغ من أوّل الكتاب إلى آخره سماعا محمد بن ناصر بن محمّد بن عليّ نحو سماعه فيه من الشيخ أبي الحسين بن الطّيوريّ رحمه الله عن أبي عليّ الشاموخيّ عن أبي القاسم بن سيف عن أبي عبد الله اليزيديّ عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ رحمه الله وأباءهم وإيّانا قراءة الشيخ الإمام العلم أبي محمّد إسمعيل بن الشيخ الإمام السعيد أبي منصور موهوب ابن أحمد بن محمّد بن [الخضر] الجواليقيّ رحمة الله عليه أخوه الشيخ العلم أبو طاهر إسحق نفعهما بالعلم والشيخ أبو الحسن عليّ بن يعيش بن سعد بن القواريريّ والشيخ أبو المعالى محمّد بن أبي الرّكاب بن عبد الملك الإسكافيّ والأستاذ * [ريحان بن عبد الله الحلبيّ عتيق أبي المعالى المكّيّ] * وذلك في يوم الأحد ثاني عشر شعبان من سنة أربعين وخمس مائة ; وكتبه محمّد بن ناصر بخطّه في التأريخ في دار الشيخ الإمام أبي محمّد إسمعيل أبقاه الله

* — * hat Cod. eine mit Punkten angedeutete Lücke.

١٠ فَلَمَّا سَقَيْنَاهَا ٱلْعَكِيسَ تَمَلَّأَتْ مَذَاخِرُهَا وَٱزْدَادَ رَشْحًا وَرِيدُهَا

١٠ فلمّا «لمّا» (ت) : الأفعال للسرقسطى ، التهذيب ، الجيم ، الغريب المصنّف ، المحكم ٣ . تملّأت «تمدّحت» : التاج ٢٢١/٢ ، ١٣ و ١٩٤/٤ ، التكملة ١٠٣/٢ ، الصحاح ١ ، الغريب المصنّف ، اللسان ٤٢٧/٣ ، ٣ و ٢٢/٨ ، المحكم ١ . تملّأت «تمذّحت» : الأفعال للسرقسطى ، التاج ٢٢١/٢ ، –١٥ و ١٧٩/٣ و ٢٢٣ ، التكملة ١٠٤/٢ ، التهذيب ١ و ٤ ، تهذيب الألفاظ ، ديوان الأدب ، الصحاح ٢ ، العقد ، اللسان ٤٢٧/٣ ، –٢ و ٣٢٢/٥ و ٣٩٠ ، المحكم ٣ و ٥ ، المخصّص ، المعانى الكبير ، نظام الغريب . مذاخرها «خواصرها» : الأفعال للسرقسطى ، التاج ٢٢١/٢ ، ١٣ و ٢٢١ ، –١٥ و ١٧٩/٣ و ١٩٤/٤ ، التكملة ١٠٣/٢ و ١٠٤ ، التهذيب ١ و ٤ ، ديوان الأدب ، الصحاح ١ ، العقد ، الغريب المصنّف ، اللسان ٤٢٧/٣ ، ٣ و ٤٢٧ ، –٢ و ٣٢٢/٥ و ٢٢/٨ ، المحكم ١ و ٣ و ٥ ، المخصّص ، نظام الغريب . مذاخرها «مناخرها» (ت) : الجيم . وازداد «وارفضّ» : تهذيب الألفاظ ، الحماسة (شرح التبريزى) ، المقاييس ٤ . وازداد «وامتدّ» : البصائر للفيروزابادى . رشحًا «رشًّا» (ت) : العين .

٤١/٢٧ ، –١ ؛ الكشاف ٤١٥/٢ ، ٨ (الصدر وحده) (دون نسبة) ؛ تفسير القرطبى ٨٢/١٧ ، –٨ ؛ البحر المحيط ١٥٧/٨ ، ١٠ (دون نسبة) . مجاز القرآن ← الأزمنة والأمكنة ١٨٥/١ ، ١١ || البرصان والعرجان ١٨٠ ، –٣ (دون نسبة) ؛ البخلاء ٢٣١ ، ٨ || الأنواء ٢٣ ، –١ = المعانى الكبير ٣٧٥/١ ، –٦ ← الجمان لابن ناقيا ١٩١ ، –٤ || الكامل (ل) ٣٨١ ، ٩ / (ق) ٢٤٦/٢ ، ٨ (دون نسبة) ← تفسير القرطبى ١٥٤/١٧ ، ١١ (دون نسبة) || التهذيب ١٢٧/١١ ع ب ، –٩ (نجم) (دون نسبة) ← اللسان ٤٦/١٦ ، ٧ و ٤٧ ، ٦ (نجم) ← التاج ٧٢/٩ ، ١٠ (نجم) || شرح تهذيب الألفاظ للتبريزى ٦٤٠ ، –٤ || شرح سقط الزند للبطليوسى ١٢٠/١ ، ٥ .
Sch. Ind. ٧٩ ع ب ، ٩ .

١٠ العين ٢١٦ ، –٨ (عكس) ← المقاييس ١٠٧/٤ ، –٨ (عكس) (دون نسبة) ؛ نظام الغريب ٦٢ ، –٢ || الجيم ٣٤٥/٢ ع ب ، –٢ (عكس) (دون

تُدّغم الّا فى مثلها كقوله تعالى وَمَا ٱخْتَلَف فِيهِ وقرئ نَخْسِف بِّهِمْ بادّغامها
٧٥٤ فى الباء وهو ضعيف تفرّد به الكسائىّ وتُدّغم فيها الباء ، فصـــل
والباء تُدّغم فى مثلها قرأ ابو عمرو لَذَهَب بِّسَمْعِهِمْ وفى الفاء والميم نحوَ
٧٥٥ اذْهَب فَّمَنْ تَبِعَكَ ويُعَذِّب مَّنْ يَشَآءُ ولا يُدّغم فيها الّا مثلُها ، فصـــل
والميم لا تُدّغم الّا فى مثلها قال الله تعالى فَتَلَقَّى آدَمُ مِّنْ رَّبِّهِ وتُدّغم فيها
٧٥٦ النونُ والباء ، فصـــل وافْتَعَلَ اذا كان بعد تائها مثلُها جاز فيه
البيانُ والادّغامُ والادّغامُ سبيلُه ان تُسَكَّنَ التاء الأُولَى وتُدّغمَ فى الثانية
وتُنْقَلَ حركتُها الى الفاء فيُستغنى بالحركة عن همزة الوصل فيقالُ قَتَّلُوا بالفتح
ومنهم مَن يحذف الحركةَ ولا ينقلها فيلتقى ساكنان فيحرّك الفاء بالكسر فيقول
قِتَّلوا فمَن فَتَحَ قال يَقَتِّلون ومُقَتِّلون بفتح الفاء ومَن كَسَرَ قال يَقِتِّلون
ومُقِتِّلون بكسرها ويجوز مُقُتِّلون بالضمّ اتباعًا للميم كما حُكى عن بعضهم
مُرُدِّفِينَ وتُقلَب مع تسعة احرف اذا كنّ قبلها مع الطاء والظاء والصاد
والضاد طاءً ومع الدال والذال والزاى دالًا ومع الثاء والسين ثاءً وسينًا فامّا
مع الطاء فتُدّغم ليس الّا كقولك اِطَّلَبَ واِطَّعَنوا ومع الظاء تُبيَّن وتُدّغم
بقلب الظاء طاءً او الطاء ظاءً كقولك اِظْطَلَمَ واطَّلم واظَّلم ورُويت الثلثة فى
بيتِ زُهَيْرٍ * ويُظْلَمُ أَحْيانًا فيَظَّلِمُ * ومع الضاد تُبيَّن وتُدّغم بقلب الطاء
ضادًا كقولك اِضْطَرَبَ واضَّرب ولا يجوز اطَّرب وقد حُكى اطَّجع فى اضطجع
وهو فى الغرابة كالْطَجَعَ ومع الصاد تُبيَّن وتُدّغم بقلب الطاء صادًا كقولك
مُصْطَبِرٌ ومُصَّبِر واِصْطَفَى واِصْطَلَى واصَّفى واصَّلى وقرئ الّا أَنْ يَصَّلِحَا ولا يجوز
مُطَّبِرٌ وتُقلَب مع الدال والذال والزاى دالا فمع الدال والذال تُدّغم كقولك
اِدَّانَ واِدَّكَرَ واِذَّكَرَ وحكى ابو عمرو عنهم اذَّكر وهو مُذَّكِرٌ وقال الشاعر

للامم السامية كان فى نواحى جنوب العراق على نهر الفرات وقد سرد عدداً من الكلمات المألوفة فى جميع اللغات السامية عن العمران والحيوان والنبات وقال ان أول من استعملها هى أمم تلك المنطقة ثم أخذها عنهم جميع الساميين

ولكن نولدكه (Noeldeke) يعارضه فى هذه النظرية معارضة شديدة و يقول إن من العبث أن نعتمد فى اثبات حقيقة كهذه على جملة كلمات ليس ما يثبت لنا أن جميع الساميين أخذوها عن أهل العراق ثم يذهب فى تأييد معارضته الى سرد بعض كلمات عن الحيوان والعمران كانت ولا شك عند جميع الامم السامية من أقدم الأزمنة مثل جبل وصبى وخيمة وشيخ واسود وضرب فهذه المعانى تختلف تسميتها فكل لغة سامية منها تسميها باسم يغاير الاسم الذى تطلقه عليه اللغة الاخرى مع أنها أجدر المعانى بأن يكون لها لفظ مشترك فى كل اللغات السامية لأنها كانت موجودة عند الجميع حين كانوا أمة واحدة وحين تفرقوا أمماً شتى (١)

من كل هذا يتبين أن من العسير أن نجزم برأى فى المهد الأصلى للامم السامية

والذى يمكننا أن نجزم به هو أن أكثر الحركات والهجرات عند أغلب الأمم السامية التى علمنا أخبارها وأسماءها كانت من نزوح جموع سامية من أرض الجزيرة الى البلدان المعمورة الدانية والقاصية فى عصور مختلفة . فأقدم هجرة سامية اتجهت نحو بابل كانت من ناحية الجزيرة وقد أسست تلك الجموع ملكا عظيما فى بقعة الفرات كان لها من الحول والطول حظ وافر فى عصور شتى

وكذلك هاجرت البطون الكنعانية والآرامية تاركة بلاد العرب وكان لحوادثها أثر عظيم فى حياة العالم القديم ثم كانت الهجرة الاسرائيلية التى فتحت بلاد فلسطين بعد أن صدرت من الجزيرة العربية وكان هذا الفتح سبباً لتقلبات اجتماعية ودينية كثيرة كبيرة الأثر فى التاريخ العام

(١) س ١٤ Noeldeke ; Sem. Sprachen

N°. 27. ٤٨

وهى ارض بين البَصْرة والكوفة فَأَقبل عَميرةُ الى سَلْمَى عِشاءً فقال يا سَلْمَى كيف انتِ لو قد جاءَ غِلْمانُ بكرِ بن وائل بنساءِ قومكِ يقودونهنّ وإِنّى رجلٌ مُوَكَّلٌ بى فالّا تُعينينى O 14a على حيلتى أُبْرِمْ بها قالت فانّى أُعينك بما اردتَ وهى حُبْلَى براقع بن ابجر مُنْتِمٌ فأصبح النّاس ظاعنين وقالت انّى ماخِضٌ فسار عَميرة فى السَّلَف المتقدِّمين ثمّ قال لخُرْقُصَة لعلّى لو رجعتُ الى اهلى فاحتملتُهم فقد وَلَدَتْ صاحبَتُهم فقال خُرْقُصة لا أُبالى أَنْ تَفْعَل فكرّ عَميرة على ناقةٍ له يقال لها الجبينة فلقىَ المرأةَ قد احْتُمِلت هى وصواحبُها فوافقته فقالت قد خبأتُ حيث كان فِراشى زادَك وسِقاءك فمضى حتّى استثارهما ثمّ نَفَذَ فلم يَفْقِدْه النّاس حتّى تَحالُّوا مَغْرِبَ الشمس ففقده خُرْقُصَةُ فأتى اختَه مُرَيَّة امرأةَ عَميرة فقال لها اين هو قالت لاأدرى أتانا ضُحًى فوافقنا ثمّ مضى الى دارنا فلم نَرَه بعدُ فاستحيى خُرْقُصَةُ أنْ يذكر امره لأحدٍ حتّى جنّ عليه الليلُ وتحدّثت به الرِّجال من قِبَل النّساء فأقبلوا الى خُرْقُصة فقالوا ويلك ما صَنَع الرجلُ قال ما أَظُنّه إِلّا ذهب قالوا إِن تكن فى شكٍّ فانّا مستيقنون ۞

فسار عَميرة يومَه وليلتَه والغدَ حتّى اذا لَقِىَ أَنْفَ الزَّوْر من الصحراء وغربت الشمس اناخ فحلَّ راحلتَه وقيّدها وعَصَبَ يديها ثمّ نام حتّى اذا علاه الليلُ قام فلم يرَ الناقةَ قال فسعيتُ يمينًا وشِمالًا فاذا انا بسَوادٍ من الليل عظيمٍ فحسِبْتُه الجيشَ فبِتُّ أَرْصُده اخاف L 26 أَنْ يأخذونى حتّى اضاء الصبحُ فاذا خمسون ومائةُ نعامةٍ واذا ناقتى تَخْطِر قائمةً قريبةً منّى فأنا غضبانُ على نفسى فاجددتُ السَّيْرَ يومى ذاك حتّى أَرِدَ سَفارِ فأَجِدُ فى منازل القوم نِسْعَةً فسقيتُ راحلتى (وسَفارِ ماءٌ لبنى تميم) وطعِمْتُ من تمرٍ كان معى وشربتُ ثمّ ركبتُ مُمْسَى الثالثةِ فأصبحتُ بالحَطّامة من ذى كُريبَ فاذا انا بناسٍ يَعْلُقون السِّدْر

---

2 O غِلْمانُ , L غِلْمَنُ . 4 L المتقدّمين , L امام الحى (sic) والسلف المتقدمون

8 O تَحالُّوا (?), L indistinct, with the gloss اى نزلوا من النسا والاموال .

13 O وانتج , L انلج (sic, without و). 16 أَرِدْ and فاجدُ , so O. 17 O L نسعة , O orig. تسعه : L has وسفار ما لبنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم . الليلى ،

18 كُرَيبَ , so O.

[No. I]

٦٧ أَذَاكَ أَمْ نَمِشٌ بِالوَشْيِ أَكْرُعُهُ مُسَفَّعُ الخَدِّ غَادٍ نَاشِطٌ شَبَبُ

[C] يقول اذاك المسحج الذى يطرد هذه الآتن شبه ناقتى ام ثور نمش ثم اندفع يصفه والنَّمش مصدر وهو أن تكون فى الاكرع نقط سود والوشي والشية مصدران من وشى[1] ووشيته اذا جعلت فيه ألوانا مختلفة والكراع ما بين الركبة والرسغ وقوله مسفع اى أسود الخدّ غاد اى ذاهب من موضع الى موضع وقوله ناشط شبب اى قد تمّ سنّه وقوّته اى هو مشبّ

[1] [C] والوشية مصران من وشية

٦٨ تَقَيَّظَ الرَّمْلَ حَتَّى هَزَّ خِلْفَتَهُ تَرَوُّحُ البَرْدِ مَا فِي عَيْشِهِ رَتَبُ

[C] تقيّظ أى أقام فى القيظ وقوله حتّى هزّ اى حرك وقوله خلفته والمراد بالخلفة نبت فى آخر الصيف وقوله تروّح البرد اى هبّت نسيم فيه البرد الليل وقوله رتب اى ما اشرف على الارض كالدرج وفيه غلظ وشدّة

٦٩ رَبْلًا وَأَرْطَى نَفَتْ عَنْهُ ذَوَائِبُهُ كَوَاكِبَ القَيْظِ حَتَّى مَاتَتِ الشُّهُبُ

[C] الربل نبت فى آخر الصيف بلا مطر والارطى نبت يشبه الطرفاء والذوائب هنا اغصان الشجر كذوائب المرأة وقوله كواكب القيظ[1] هذا على طريق الاستعارة يريد انه كواكب حرّ القيظ[2] فحذف المضاف واقام المضاف اليه والشهب جمع شهاب والمراد ههنا شدّة الحرّ كشهاب النار شعلتها يقول كانت تقع فى صيفه ويستظلّ بالارطى فكانت غصون الارطى تظلّه وتقيه من وهج الحرّ حتّى سقطت كواكب القيظ وجاء الخريف والشتاء

[1] [C] الحرّ   [2] [C] الحرّ

(67) LA (نمش) viii 252; TA iv 360 (anon) عاد—LA (نشط) ix 291; TA v 231 هادٍ—TA (سفع) v 381—El Gauh. (نشط) i 567 هادٍ—Muhibb 19—BM (1) نمش بالوشم

(68) LA (رتب) i 395; TA i 266—El Gauh. i 55—TA (قيظ) v 260; (خلف) vi 96—Asâs (قيظ) ii 191—Lane 2579—BM فى عيشه عتب—BM schol. ... وتروّح البرد ما ينبت فى برد الليل وهو خلفته وهزّه البرد حرّكه فاخضرّ ما فى عيشه عتب يقول ليس فى عيشه غلظ وشدّة الربل ما تربّل من النبت فجاء حرّ الصيف يصيبه برد الليل فينبت بلا مطر

(69) El Fârisî 152r—Asâs (موت) ii 265—BM وَرْبلا—C* زبلا—L* ربلا—C كواكب الحرّ but corrected in margin to القيظ—BM (1), BM (2) الحرّ—Gauh. الربل ضرب من الشجر اذا اشتدّ الحرّ اشتدّ خضرته

اليهود لحلَفْتُ فانه لا يعرف هـذه النصوص بالعبرانية الا من تدرب بهذه اللغة . وكان الغالب عليه علم الادب حتى لقد رأيت الشيخ أبا الفتح عثمان بن عيسى النحوي البلطي وهو شيخ الناس يومئذ بالديار المصرية يسأله سؤال المستفيد عن حروف من حواشي [1] اللغة وسأله يوماً بمحضري عمّا وقع في الفاظ العرب على مثال شقحطب فقال هذا يسمى في كلام العرب المنحوت ومعناه ان الكلمة منحوتة من كلمتين كما ينحت النجار خشبتين ويجعلها واحداً فشقحطب منحوت من شق وحطب فسأله البلطي ان يثبت له ما وقع من هـذا المثال اليه ليعوّل في معرفتها عليه فاملاها عليـه في نحو عشرين ورقة من حفظه وسماها كتاب تنبيه البارعين على المنحوت من كلام العرب [2] . قال ورأيت السعيد ابا القاسم هبة الله بن الرشيد جعفر بن سناء الملك يسأله على وجه الامتحان عن كلمات من غريب كلام العرب وهو يجيب عنها بشواردها . وكان القاضي الفاضل عبـد الرحيم بن البيساني قد وضعه على ذلك . قال وحدثني عن نفسه قال لما دخلت خوزستان لقيت بها المجير البغدادي تلميذ الشهرستاني وكان مبرزاً في علوم النظر فاحبّ صاحب خوزستان ان يجمع بيننا المناظرة في مجلسه وبلغني ذلك فاشفقت من الانقطاع لمعرفتي بوفور بضاعة المجير من علم الكلام وعرفت ان بضاعته من اللغة نزرة فلما جلسنا للمناظرة والمجلس غاصّ بالعلماء فقلت له تعرض الكلام

(١) لعله حوشي (٢) اورد السيوطي هذه الجملة في مزهره (١ : ٢٣٣) وذكر انه لم يقف على الكتاب

اذاً افرأيت الطلة الى ترينها فارها في وبصان او الجساد اذا تأشب بي [1] المغيث فاحتاج الى ان يستفسر ما قلت فشنعت عليـه وقلت انظر الى المدعي رتبة الامامة يجهل لغة العرب التي بها نزل كلام رب العالمين وجاء حديث سيد المرسلين والمناظرة انما اشتقّت من النظير وليس هـذا بنظيري لجهله باحد العلوم التي يلزم المجتهد القيام بها وكثر [2] لغط اهل المجلس وانقسموا فريقين فرقة لي وفرقة عليّ وانفكّ المجلس على ذلك وشاع في الناس اني قطعته . وكان الظهير قد اقام بالقدس مدة فاجتاز به الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف فرآه عنـد الصخرة يدرس فسأل عنه فعُرّف منزلته من العلم فاحضره عنده ورغّبه في المصير معه ليقمع به شهاب الدين ابا الفتح الطوسي اشيء نمّه عليـه فورد معه الى القاهرة واجرى عليه كل شهر ستين ديناراً ومائة رطل خبزاً وخروفا وشمعة كل يوم ومال اليه الناس من الجند وغيرهم من العلماء وصار له سوق قائم الى ان قرر العزيز المناظرة بينه وبين الطوسي في غد عيـد وعزم الظهير ان يسلك مع الطوسي وقت المناظرة طريق المجير من المغالطة لان الطوسي كان قليل المحفوظ الا انه كان جريئاً مقداماً شديد المعارضة واتفق ان ركب العزيز يوم العيد وركب معه الظهير والطوسي فقال الظهير للعزيز في أثناء الكلام انت يا مولانا من اهل الجنة فوجـد الطوسي السبيل الى مقتله فقال وما يدريك انه من أهل الجنـة وكيف تزكي على الله تعالى فقال له الظهير قـد زكى رسول الله صلى الله عليـه

(١) لعله في (٢) ق واكثر

له صلاتها وخراجها فدخلها للنصف من شهر رمضان سنة سبع وثلاثين فجعل على شرطته عبدالله بن ابي حرملة البلويّ فذكر بعض اشياخ مصر ان قيسًا لقي محمد بن ابي بكر فقال له: إنه لا يمنعني نصحي لك وللأمير المؤمنين عزله ايّاي ولقد عزلني من غير وهن ولا عجز فاحفظ عني ما اوصيك به يدمْ (١ صلاح حالك: دع معاوية بن حديج ومسلمة بن مخلّد وبسر بن ابي أرطاة ومن ضوى اليهم على ما هم عليه تكشفهم (٢ عن رأيهم فإن اتوك ولم يفعلوا فاقبلهم وان تخلّفوا (٣ عليك فلا تطلبهم: وانظر هذا الحيّ من مضر (٤ فانت اولى بهم منّي فألِنْ لهم جناحك، وقرّب عليهم مكانك وارفع عنهم حجابك وانظر هذا الحيّ من مدلج فدعهم وما غلبوا عليه يكفوا عنك شأنهم وأنزل الناس من بعد على قدر منازلهم وان استطعت ان تعود المرضى (٥ وتشهد الجنائز فافعل فإنّ هذا لا ينقصك وان تفعل إنّك والله ما علمت لتظهر الخيلاء وتحبّ الرياسة وتسارع الى ما هو ساقط عنك والله [١١ ب] موفّقك. فعمل محمد بخلاف ما اوصاه قيس فكتب الى ابن حديج والخارجة معه يدعوهم الى بيعته فلم يجيبوه فبعث بابي عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعيّ الى دور الخارجة فهدمها ونهب اموالهم وسجن ذراريهم فبلغهم ذلك فنصبوا له الحرب وهمّوا بالنهوض اليه فلمّا علم انّه لا قوّة له بهم امسك عنهم

---

١) في الاصل: يدوم والاصح الذي في الخطط (ج ٢ ص ٣٣٧) حيث وردت هذه الرواية
٢) في الخطط: لا تكفهم عن رأيهم
٣) في الاصل: تختلفوا ٤) في الاصل: مصر واتبعنا الخطط
٥) في الاصل: المرض

وَانصرفَ عُميرٌ الى عسكره وَبلغ بني تَغلبَ مقتل شُعَيث فَحمِيَتْ على القتالِ وَاجتمعَت لذلك وَتذاكرتْ فلمّا كانَ يوم الجمعة وقد كان حنظلة بن هوبر جُرح في يوم الخميس جراحةً مات فيها فلما عرف ان تلك الجراحة قاتِلتهُ قال يا بني تغلب اتتهموني عليكم قالوا لا ولكنّا نتيمّن بكم يا بني كِنانةَ قال فأطيعوني وولُّوا امرَكم مرّارَ بن علقمة الزُّهَيريّ فاني لا اعلم في ربيعة رجلًا اسدَّ رأياً منه ولا ابصر بالحَربِ ففعلوا وجعلوا الامرَ لمرّار فلم يصبح مرار حتى وضع تغلب على راياتها وأمر كلَّ بني أبٍ ان يجعلوا نِساءَهم خلفهم وعبأهم محصن بن جُبَير بن حنجُودٍ الابناوي احدُ الابناء وكان محصنٌ أفلتَ من اصحاب شعيثٍ يوم قُتِل واذا كانت قَبيلةٌ كبيرةٌ فيها قَبائل صغارٌ سمُّوا الابناء فلمّا كان يوم الجمعة أشرَفَت تغلب على تلّ الحشاك ونادى مُنادٍ منهمُ ليَتَميَّز كلُّ حيٍّ على
٢٨a ناحيتهم حتى يُعرف || اهل الحفاظِ والصَّبرِ فلمّا أبصرَ عميرٌ الصَّفَّين قال هذه مُقاتِلةُ بني تغلب فما هاؤلاء الذين خلفَهم قالوا أبناؤهم ونساؤهم قال اني ارى جمعين لا يُسلِم احدُهما صاحبهُ ورَجع عميرٌ الى اصحابه فقال يا مَعشَرَ قَيسٍ انَّ تغلب حَيٌّ بَدوٌ وقد اجتمعوا لِقتالِكم وانّهم لم يَنزِلوا بعقوةِ قومٍ بِنسائهم الّا أخلَوا لهم الارض فأَطيعوني وارحلوا عنهم فانكم ان فعلتم ذلك تفرّقوا لِمَبداهم وما تصلح مواشيهم فاذا اتاني تفرُّقُهم شَدَدْنا عليهم حَيّاً حيّاً وقد كان اتاه في غداة يوم الجمعة عُيَينةُ بن اسماء بن خارجةَ الفَزاريّ في عدّةٍ من اهل العِراقِ ولم يكونوا حَضروا القتال يوم الخميس فقال له يا ابن الصَّمّاء اجُبناً حينَ أَصابكَ ما أصاب قال ستَعلَمُ مَن الاجبَنُ ولكن أَصحابي قد جُرِحوا وكأني بكم لَو قَدْ صبرَتْ تغلبُ انفرجتُم عنّي انفراج الراسِ وبقيتُ انا في اصحابي قالوا ستعلم غيرَ ذلك ونادَى مرّارُ بن علقمة يا مَعشَرَ بني تغلبَ الزَموا مصافّكم حتى آمُركم ودنا مِنهم اصحاب عُمَيرٍ وكان في القلب عَبيدةُ بن هزّامٍ العَدويّ في عدى تغلب وزَيد بن عَمرو ومالك بن مالك والحرث بن مالك وكان الظهار بن جحوان اخو بني عبدالله بن تَيم صاحب راية بني مالك بن بكرٍ فنَطَحَ عميرٌ بمَيسَرتهِ ميمنةَ بني تغلب وهُمْ رجّالةٌ على شاطي الثّرثارِ فتحاثوا للركبِ وشدّتْ ميمنتهُ على مَيسَرةِ تغلبَ والنمر فازالُوهم عن موضعِهمْ فالتقَوا من وراء ميْمَنةِ القَيْسيّةِ وكثرتهم
٢٨b تغلب فلم يكن الّا الضرب || وذلك عند طُلوعِ الشمس فقاتلوهم الى العَصرِ

يَعْنِي فَرَسًا أَفْرَعَ نَفَضَ كَتِفَيْهِ . وآنَ الشيء بمعنى حانَ يَئِينُ أَيْنًا وأَنَى يَأْنِي ومنه قولُ الله عزّ وجلّ [l] أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا اي أَلَمْ يَحِنْ لَهم واللهُ أَعْلَمُ . قال الشاعر :

[m] أَلَمَّا يَئِنْ لِي أَنْ تُجَلَّى عَمَايَتِي   وَأُقْصِرَ عَنْ لَيْلَى بَلَى قَدْ أَنَى لِيَا

فجاء هذا الشاعر بهاتَيْنِ اللُّغَتَيْنِ جميعًا وقوله أَلَمَّا يَئِنْ لِي من قولك آنَ ثُمَّ قال في آخِرِه بَلَى قد أَنَى لِيا فجاء باللُّغَتَيْنِ في بَيْتٍ : وقال الفَرَّاء إِنْ شِئْتَ جَعَلْتَهُما جميعًا من لُغَةٍ واحدةٍ كأَنَّهُ أراد بقوله أَلَمَّا يَئِنْ لي يَأْنِ لي ثم أَدْغَمَ النونَ عِنْد اللامِ وأَلْقَى حَرَكَتَهَا على الهَمْزَةِ فيكون حِينَئِذٍ من أَنَى يَأْنِي فيَصِيرانِ جميعًا من لُغَةٍ واحدةٍ . وفيه لُغَتانِ أُخْرَيانِ : العربُ تقول [n] أَلَمْ يَنَلْ لكَ ان تَفْعَلَ ذاكَ وأَلَمْ يُنِلْ لك ان تفعلَ . قال احمد بن عُبَيْد وتقول العرب كان ذاك في أَوانِ حاجَتِكَ وفي آوِنَةِ حاجَتِكَ ومعنى آوِنَةَ احيانًا . ويقال آنَ يؤُونُ أَوْنًا بمعنى رَفَقَ يقال أَوْنٌ على نَفْسِكَ اي ارْفُقْ بها . احمد . وقوله أَهْلًا بذلك من سارٍ كأنّه دُعاء له وتَعَجُّبٌ منه العرب تقول فلان أَهْلٌ لِلخَيْرِ وقد آهَلَهُ اللهُ لَهُ ومكانٌ مَأْهُولٌ هو الكلام وقد أَهِلَ هذا المكانُ : وسَمِعْتُ يقال مكان آهِلٌ اي ذو أَهْلٍ : قال ذو الرُّمَّةِ * [o] كأَنْ لَمْ سِوَى أَهْلٍ مِنَ الوَحْشِ تُؤْهَلِ * . وبنو عامر يقولون أَهِلْتُ بِهِ فانا آهَلُ به أُهُولًا اي أَنِسْتُ به . وجعله مُحْتَفِيًا اي عَجِلَ في طَلَبِنَا ولم يتلبَّثْ . وقوله * نَفْسِي فِداؤُكَ من سارٍ على ساقٍ * والخيالُ لا يَمْشِي على ساقٍ ولكنه لمّا قال يَسْرِي وقال محتفيًا فوَصَفَهُ بما يُوصَف به ذو السَّاقِ قال *نفسي فداؤكَ من سارٍ على ساقٍ* فجعله بمَن له ساقٌ وكذلك قول الله تعالى في قصّة يُوسُفَ عليه السلام [p] يا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي ساجِدِينَ : وإنّما تَدْخُلُ هذه النون والياء في جمع ذُكْرانِ الإِنْسِ والجِنِّ وما أَشْبَهَهُم فيقال الجِنُّ والإِنْسُ والملائكةُ ساجِدُونَ فإذا [q] عَدَوْتَ هذا صار المُؤَنَّثُ والمُذَكَّرُ الى التانيث فيقال الغَنَمُ والبَقَرُ مُذَبَّحَةٌ ومُذَبَّحاتٌ وقد ذُبِّحْنَ ولا يجوز مُذَبَّحُونَ . قال الفَرَّاء وإنّما ذلك لِأَنّها وُصِفَت بأفاعيلِ الآدَمِيِّينَ وقال أَلا تَرَى أَنَّ الرُّكوعَ والسجودَ لا يكون إلّا من الآدميّين فأُخْرِجَتْ على أَفعالِ الآدَمِيِّينَ لمّا وُصِفَتْ بِصِفَتِهِم . ومثله [r] وَقالُوا لِجُلُودِهِم لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا : وكأنّهم خاطَبُوا رجالًا إِذْ كَلَّمَتْهُم وكَلَّمُوها . ومثله [s] يا أَيُّها النَّمْلُ ادْخُلوا مَساكِنَكُمْ : وكلّ ما وَرَدَ عليك مُوافِقًا لفعل الآدميّين وليس من الآدميّين فأَجْرِهِ على هذا . ويجوز ان يكون جعل الخيالَ ذا ساقٍ يَذْهَبُ الى معناه يريد صاحِبَ الخيالِ . احمد . ويقال سَرَى وأَسْرَى لُغَتانِ قد جاء بهما القرآن فيقال سِرْتُ الدابَّةَ أَسِيرُها سَيْرًا ومَسِيرًا وسِرْتُ بالقوم فأنا أَسِيرُ بهم وسَرَيْتُ بالقوم فأنا أَسْرِي بِهِم سُرًى وسَرَوْا هُم يَسْرُونَ بُسْرايَ وأَسْرَيْتُ بهم إسراء والسُّرَى من أَوْسَطِ الليل وأوّلِه وآخِرِه وأمّا السَّيْرُ فبالليل والنهار ❖

[l] Qur. 57, 15.

[m] LA 16, 183, 22 (K has غَيَابَتِي)

[n] LA 14, 208, 13.

[o] First hemistich فَأَضْحَتْ مَبَادِيهَا قِفَارًا بِلَادُهَا (I. Off. Ms. p. 201).

[p] Qur. 12, 4.

[q] K 1 and 2 عددت

[r] Qur. 41. 20.

[s] Qur. 27. 18.

ثم توج علماء الحديث هذه المسيرة الرمزية، في تاريخ العلوم الإسلامية، فوضعوا في أوائل القرن الثالث مصطلحات مختصرة من ألفاظ أساليب التحديث والرواية والتلقي. وعندما شاع استعمالها في المصنفات، تولدت منها بُنيّات وحفيدات،[١] حتى صار لها في القرون المتأخرة عشرات من الصور الصوتية، بين كثير من علوم الإسلام والفنون الأدبية، ولكل منها دلالة اصطلاحية معقدة، يتداولها العلماء في مصنفاتهم بخبرة واقتدار.

وهذا الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢) تجده كثيراً ما يختصر أسماء العلماء، فيما ينقل من النصوص عنهم، برموز حرفية مقتطعة من أسمائهم. ومن ذلك: **ث**: ثعلب، **ح**: الحوفي، **ع**: المعري، **ق**: الرقي، **رز**: الرزاز. ثم تراه يجمع بين هذه الرموز عندما يكون الكلام لأكثر من عالم نحو: **زح، زع، ض ق، ق س، ق ك، ذ ع ح، ز ع ح، ح ر ز ع**.[٢]

وقد تكاثرت هذه الرموز الفنية بين أيدي العلماء والنُّسّاخ، بحيث يتعذر إيرادها كلها. وحسبنا أن نذكر ههنا بعض ما جاء في النصوص التراثية من ذلك، مع ما يقابله من المقصود. نحو:[٣]

---

(١) علوم الحديث ص ١٨٠ ـ ١٨٢ والكفاية في علم الرواية ص ٣٧٤ ـ ٣٨٤ وإرشاد طلاب الحقائق ص ١٥٠ ـ ١٥١ والجامع الصغير١ : ١ وصحيح الجامع وزياداته ص ٢١ ـ ٢٥ وكشف الظنون ص٥٦٠ـ ٥٦١ و ٥٩٧ ومنتخب كنز العمال ١ : ٧ـ ٩ وغاية النهاية في طبقات القراء ١ : ٣ وتقريب التهذيب ١ : ١٦ والقاموس المحيط ص ٢٣ و٣٥ ومنهج التبريزي ص٢٢١ ـ ٢٢٢ وتهذيب إصلاح المنطق ص٧٨٠ والرموز عند المؤلفين العرب لحسين علي محفوظ.

(٢) منهج التبريزي ص ١٣ و ٢٢١ ـ ٢٢٢ والإيضاح في شرح سقط الزند ص ٤١ ـ ٤٢.

(٣) يضاف إلى هذا بعض الرموز المستحدثة، وأكثرها تقحم وتنطع: **ق. م**: قبل الميلاد، **م**: الميلادي، **هـ**: الهجري، **ص**: صفحة، **س**: سطر، **جـ**: جزء، **ت**: تاريخ أو تاريخ الوفاة، **تر**: ترجمة، **د**: دكتور، **د. ت**: بدون تاريخ، **ط**: طبعة، **عم**: عمود، **مط**: مطبعة، **ن**: ناشر. هذا مع العلم أنه لا يستخدم **الميم والهاء** إلا إذا كان في الكتاب ما له تاريخ هجري، وآخر ميلادي. فإن خلا من ذلك وجب عدم الرمز بهما أصلًا.

ثنا: حدّثنا

ثني: حدثني

أنا: أنبأنا

أرنا: أخبرنا

المصـ: المصنِّف

ص: المصنَّف

الشـ: الشارح

أيض: أيضًا

م: معتمد أو معروف

إلخ: إلى آخره

رضي: رضي الله عنه

ج: جمع

جج: جمع الجمع

ح: حينئذ

مح: محال

تع: تعالى

ع م: عليه السلام

يخ: يخلو

نم: نسلم

مع: معلول

س: سيبويه

ق: قال

اهـ: انتهى.[١]

وعندما التقى ابن مالك صاحب الألفية (ت ٦٧٢) وشرف الدين علي ابن محمد اليُونيني (ت ٧٠٩) في المؤتمر المشهور بجامع دمشق، لمقابلة نص «صحيح البخاري» وتحقيقه على أصول مصحَّحة مضبوطة، كان معهما حُفّاظ بلاد الشام، ولدى كل منهم نسخته المعتمدة المسندة إلى المؤلف نفسه.

وقد استغرق هذا المؤتمر أكثر من سبعين مجلسًا، واليُونِيني يقرأ من نسخته المعتمدة، والعلماء الحضور يتابعون ذلك ناظرين في نسخهم ومراجعين في محفوظاتهم أيضًا، وابن مالك يراعي القراءة ويلاحظ النطق، ثم يختار ما أجمعتْ عليه مجمل الروايات وأصحها في الضبط والإعراب، فيرجحه ويأمر بإثباته أصلًا، وما خالف ذلك يُحفظ جانبًا ويُجعل في الحاشية.[٢]

ومن ثَمّ فإن ما كان من موافقة نسخة اليُونِيني لبعض تلك الأسانيد من الصحيح أو مخالفتها رُمز إليه بما يميّزه عن غيره،[٣] فكان مثلًا الحرف «ه» لأبي ذر الهروي، و«ص» للأصيلي، و «ش» للدمشقي ابن عساكر،

---

(١) هذا ما نعبر عنه اليوم بأقواس الاقتباس، وهو يعني أن النص المقتبس قد انتهى. وكثيرًا ما يرد بدلًا منه عبارات، نحو: **انتهى، آخر قول فلان، إلى هنا قوله، هذا آخر كلامه، هذه ألفاظه، هذا قوله، قلتُ**... انظر المساعد على بحث التخرج ص ٨١ وشرح قواعد الإعراب ص ١٨.

(٢) انظر إرشاد الساري ١: ٦٨ ـ ٦٩ والجامع الصحيح مطبوعة دار طوق النجاة ١: ٥-٦ وشواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ص ٢١٩ ـ ٢٢١ ونظرة في تحقيق الكتب ص ١٢.

(٣) انظر النموذجين التاليين.

(٥)



(الجزء الأول)

من صحيح أبي عبد الله محمد بن إسمعيل بن إبراهيم بن المغيرة

ابن بردزبه البخاري الجعفي رضي الله تعالى

عنه ونفعنا به آمين

قد وجدنا في النسخ الصحيحة المعتمدة التي صححنا عليها هذا المطبوع رموزا لأسماء
الرواة منها ه لأبي ذر الهروي وص للأصيلي وس لابن عساكر وط لأبي الوقت
وهـ للكشميهني وحـ للحموي وسـ للمستملي ولك لكريمة وحهـ لاجتماع
الحموي والكشميهني وحسـ للحموي والمستملي وتارة توجد تحت حهـ وحسـ ه
أو غيرها إشارة إلى روايته عنهما وتارة توجد قبل الرمز (لا) إشارة إلى سقوط الكلمة
الموضوعة عليها (لا) عند أصحاب الرمز الذي بعدها وقد توجد في آخر تلك الجملة التي عليها
لا لفظ الى إشارة إلى آخر الساقط عند صاحب الرمز ومن الرموز ع ولعلها لابن
السمعاني وج ولعلها الجرجاني وق ولعلها القابسي وح وعط وصح ولم يعلم
أصحابها وربما وجد رموز غير ذلك لم نعلم أيضا ويوجد على بعض الكلمات خـ أ وخـ
أ وخ وهي إشارة إلى أنها نسخة أخرى وقد يوجد على الكلمة لفظ صح إشارة إلى
صحة سماع هذه الكلمة عند المرموز له أو عند الحافظ اليونيني والله سبحانه أعلم

﴿طبع﴾

بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية

سنة ١٣١١ هجرية

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الزُّبَيْرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مِسْعَرٌ عَنِ الْحَكَمِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ كَانَ

٨٢١ (تحفة ٢٩٨) سُجُودُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَرُكُوعُهُ وَقُعُودُهُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ قَرِيبًا مِنَ السَّوَاءِ حدثنا سُلَيْمَانُ بْنُ

حَرْبٍ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ إِنِّي لَا آلُو أَنْ أُصَلِّيَ بِكُمْ كَمَا رَأَيْتُ (١)

النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي بِنَا قَالَ ثَابِتٌ كَانَ أَنَسٌ يَصْنَعُ شَيْئًا لَمْ أَرَكُمْ تَصْنَعُونَهُ كَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ (٢)

باب ١٤١ الرُّكُوعِ قَامَ حَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ قَدْ نَسِيَ وَبَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ حَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ قَدْ نَسِيَ **بَابٌ** — ابن مالك ٣ ابن ملك

تغ ٣٢٨/٢ لَا يَفْتَرِشُ ذِرَاعَيْهِ فِي السُّجُودِ وَقَالَ أَبُو حُمَيْدٍ سَجَدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَوَضَعَ يَدَيْهِ غَيْرَ مُفْتَرِشٍ — أخبرنا

٨٢٢ (تحفة م د ت س ٢٣٧) وَلَا قَابِضِهِمَا حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ سَمِعْتُ قَتَادَةَ عَنْ (٣)

أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ اعْتَدِلُوا فِي السُّجُودِ وَلَا يَبْسُطْ أَحَدُكُمْ ذِرَاعَيْهِ انْبِسَاطَ (٤) — ولا يَنْبَسِطْ ٤ ولا يَبْسُطْ

باب ١٤٢ ٨٢٣ (تحفة د ت س ١٨٣) الْكَلْبِ **بَابُ** مَنِ اسْتَوَى قَاعِدًا فِي وِتْرٍ مِنْ صَلَاتِهِ ثُمَّ نَهَضَ حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ قَالَ — انبساط ٦ أخبرني

أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ قَالَ أَخْبَرَنَا خَالِدٌ الْحَذَّاءُ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ الْحُوَيْرِثِ اللَّيْثِيُّ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ (٦) — الركعتين ٨ أخبرنا

باب ١٤٣ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي فَإِذَا كَانَ فِي وِتْرٍ مِنْ صَلَاتِهِ لَمْ يَنْهَضْ حَتَّى يَسْتَوِيَ قَاعِدًا **بَابٌ** كَيْفَ — قال ١٠ لكني

٨٢٤ (تحفة د س ١٨٥) يَعْتَمِدُ عَلَى الْأَرْضِ إِذَا قَامَ مِنَ الرَّكْعَةِ (٧) حدثنا مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ قَالَ حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ (٨) عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ — رسول الله ١٢ من

قَالَ جَاءَنَا مَالِكُ بْنُ الْحُوَيْرِثِ فَصَلَّى بِنَا فِي مَسْجِدِنَا هَذَا فَقَالَ إِنِّي لَأُصَلِّي (٩) بِكُمْ وَمَا أُرِيدُ الصَّلَاةَ وَلَكِنْ (١٠) — في ١٣ رأسه

أُرِيدُ أَنْ أُرِيَكُمْ كَيْفَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ (١١) صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي قَالَ أَيُّوبُ فَقُلْتُ لِأَبِي قِلَابَةَ وَكَيْفَ كَانَتْ

صَلَاتُهُ قَالَ مِثْلَ صَلَاةِ شَيْخِنَا هَذَا يَعْنِي عَمْرَو بْنَ سَلِمَةَ قَالَ أَيُّوبُ وَكَانَ ذَلِكَ الشَّيْخُ يُتِمُّ التَّكْبِيرَ وَإِذَا

باب ١٤٤ رَفَعَ رَأْسَهُ عَنِ السَّجْدَةِ الثَّانِيَةِ جَلَسَ وَاعْتَمَدَ عَلَى الْأَرْضِ ثُمَّ قَامَ (١٢) **بَابٌ** يُكَبِّرُ وَهُوَ يَنْهَضُ

تغ ٣٢٩/٢ ٨٢٥ (تحفة ٣٨) مِنَ السَّجْدَتَيْنِ وَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يُكَبِّرُ فِي نَهْضَتِهِ حدثنا يَحْيَى بْنُ صَالِحٍ قَالَ حَدَّثَنَا فُلَيْحُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ

سَعِيدِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ صَلَّى لَنَا أَبُو سَعِيدٍ فَجَهَرَ بِالتَّكْبِيرِ حِينَ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ وَحِينَ سَجَدَ وَحِينَ

٨٢٦ (تحفة م د س ١٤٨) رَفَعَ وَحِينَ قَامَ مِنَ الرَّكْعَتَيْنِ وَقَالَ هَكَذَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم حدثنا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ (١٣)

حدثنا

٨٢١- طرفه: ٨٠٠.

٨٢٢- طرفه: ٢٤١.

٨٢٤- طرفه: ٦٧٧.

٨٢٦- طرفه: ٧٨٤.

و«ظ» لأبي الوقت، و «ح» للحَمُّوِيّ،[١] و «سـ» للمستملي، و «هـ» للكُشميهَني. وإذا اتفقتْ بعض الأسانيد في لفظ ذُكرتْ رموزها معًا. أثبتَ ذلك كله الإمام اليُونِيني في فرخة،[٢] ألحقها بنسخته المحقَّقة.

وآخر ما وصل إلينا عن هذا الكتاب الكريم، في خدمته للرمزية، هو ما تحصل عام ١٣١١. وذلك أن السلطان عبد الحميد ـ رحمه الله ـ أمر بطبعه حينذاك في المطبعة الأميرية ببولاق، فاعتمد المصحِّحون له على النسخة اليُونِينية المحفوظة في الخزانة الملوكية بالآستانة، وعارضوها بنسخ أُخرى شهيرة الصحة والضبط.

ثم أصدر السلطان أمره إلى مشيخة الأزهر، بتحقيق جماعي آخر، لِما صار عليه هذا الكتاب، فقام بذلك ستة عشر من أكابر محدِّثي الأزهر الأعلام وعلماء العربية، اعتمادًا على الأصل اليُونِيني أيضًا، ومعارضةً بفروعه الخطية الموثَّقة، أُسوة بما كان من مجالس اليُونِيني وابن مالك مع محدّثي الشام، قبل ذلك بسبعة قرون. وبهذا صار النص الأصلي في المتن، مع علامات ورموز بموافقات الفروع وخلافاتها، وفي الحاشية ما كان من نحوه أيضًا.

---

(١) يجوز فيه فتح الميم مع التشديد أيضًا. وقيل: بتسكين الواو بعدها ياء مكسورة فياء النسبة. انظر الأنساب ٢: ٢٦٨ و ٣٠١.

(٢) الفرخة: قطعة من الورق، يسجل فيها من الملاحظات والتعليقات على النص ما لا يمكن إلحاقه بالحواشي لطوله، ثم توضع في مكان مناسب من الكتاب للرجوع إليها عند الحاجة.

الفصل الثاني

الترقيم التعبيري

في اللغة العربية

الحق أن كل متكلم واع من جميع الأمم يستخدم في عباراته اللفظية ما يمارس الإيقاع التعبيري ، بشكل تلقائي ملحوظ ودقيق مفهوم،[(١)] من التباطؤ والتوقف والتلبث والمد والتفخيم والنبر والتنغيم، للإشعار بما يريد من قطع واستئناف وتفصيل واعتراض وخبر وإنشاء...

فهو يصل ما يجب وصله، ويتلبث قليلًا في موضع الفصل، ويقف أكثر بعدما يتم لديه معنى في فكرة ما، ثم يستأنف الكلام مشعرًا بابتداء فكرة جديدة لها صلة بما مضى. وإذا أقحَم ما يعترض بين عباراته تلبّث برهة في أوله، وثانية في آخره، وقد يعبِّر عن ذلك باللفظ قائلًا: «بين قوسين». وفي خلال ذلك كله يلوّن تعبيره بالمقاصد الخبرية والإنشائية، هادئًا مسترسلًا فيما هو تقرير ووصف وتحليل، ومنغِّمًا العبارات بما يناسبها من توترات النداء والإنكار والزجر والتوبيخ والتهكم والاستبعاد والنهي والأمر والتعجب والاستفهام...

وقد رأيتَ أنت جهود القدماء والمتأخرين، من أجدادنا العرب والمسلمين، في هذا الحقل العملي، وما وضعوه من رموز ومفاهيم اصطلاحية لضبط أقصى ما يمكن من ثغرات التسجيل الكتابي للنصوص.

---

(١) انظر مشكلة العامل النحوي ص ١٨٠ ـ ١٨٦.

حتى لقد صار لما يسجل في التراث الخطي نهج مفصل من العلامات، يمكنك أن تلاحظ فيه تعبيرًا رمزيًّا يمازج الكلام المكتوب، ويشكل معه وحدة لغوية متكاملة. ورأيتَ أيضًا تنكر الاستشراق وأنصاره لذلك، والرِّدّة إلى عهود الوثنية الإفرنجية والعولمة الاستعمارية، لزعم التأصيل والبنيان والتوليد.

البحث والتصنيف:

وفي عصرنا الحاضر شرع بعض الناشرين يوظف قليلاً من علامات التنغيم التعبيري هذه، على غير نظام، ثم كثر الخلاف والاضطراب في ذلك بينهم، فلمس الكُتّاب حاجة إلى بحث هذه الظاهرة الحيوية، وتقديم نهج مرسوم يحتذيه الناسخ والمؤلف والكاتب.

إذ ذاك قام حسن حسني باشا الطويراني، صاحب جريدة النيل ومجلات الشمس والزراعة والمعارف، بتصنيف رسالة تحت عنوان «كتاب خط الإشارات»،[(١)] جعل فيه تلك العلامات نُقطًا وألفاتٍ وما يشبهها، ونشره سنة ١٣١٠ في القاهرة، فلم يكن له أثر بين الناس، لما فيه من رموز متداخلة ومتشابهة، تعرقل التعبير وتفسد الكلام.

ومن ثَمّ كان أن أمر أحمدُ حشمت باشا، ناظرُ المعارف المصرية، الأستاذَ أحمد زكي باشا (ت ١٣٥٣) بإحياء أساليب الترقيم العربية عند علماء القراءات،[(٢)] فشرع هذا في استنباط طريقة لوضع علامات تناسب العصر في رسمها الحالي، توافق الرموز المستخدمة حينئذ في بعض المخطوطات المصرية ومطبوعات الخلافة العثمانية، استنبطها من كتب

(١) معجم المطبوعات العربية ص ١٢٥٣ والترقيم وعلاماته ص ٤.

(٢) الترقيم وعلاماته ص ٦- ١٢ و ٤٧.

السلف الصالح في الوقف والابتداء، من مثل: القول المفيد في علم التجويد، ومنار الهدى في الوقف والابتدا، وكتاب الوقف والابتداء، وشروح المقدّمة فيما يجب على القارئ أن يعلمه، والإتقان في علوم القرآن، والبحث المعروف في معرفة الوقوف، وكتاب الوقوف، وغيرها من الأُمّهات الموضوعة في هذا الباب.

صنف ذلك في كتيِّب، فسّر فيه مواقع توضُّع تلك الوسائل الرمزية في الكتابة، وأورد نصوصًا تمثل ذلك عمليًّا، مع كثير من الاضطراب والتخليط، وتأثرٍ بعضَ مذاهب المستشرقين:

كوضع الفاصلة بين المبتدأ وخبره أو بين الشرط وجوابه، وجعل علامة الاستفهام معكوسة، وإقحام علامة التعجب بعد النداء والقسم، وإضافة نجم بين شطرَيِ البيت الشعري، ونقطة أو فاصلة في آخره، واستخدام الفاصلة المنقوطة عشوائيًّا دون تعيين لموقعها، واقتراح الفاصلة فوق نقطتين لتحديد السجع، والقوسين الكبيرتين لحصر عبارات الاعتراض أو الدعاء أو التفسير أو اللفت للنظر، ولبعض أشباه الجمل، وختمِ النص المقتبس بعلامة الترقيم قبل علامة التنصيص في آخره...

ولكي يطمئنّ إلى صحة ما وضع، عرض مشروعه المذكور على ناظر المعارف، الذي كلفه من قبل بذلك، فهذب هذا منه بعض المواضع، وأرشده إلى تكميل ما عنده من نقص، وطلب منه الاستئناس برأي أهل الفضل والأدب. ولذلك ترى صاحب الكتيّب قد استشار فيما صنف جمهور المتفانين في خدمة اللغة ورفع منارها، من الشعراء والأدباء والقضاة ومتفشي العربية ورؤساء تحرير الدوريات وعلماء الأزهر ومطارنة الطائفة المارونية، فكان لهم أيضًا تزويد ببعض المعلومات النافعة والإرشادات المسددة.

ثم تابع خطواته بعض المتأخرين، لضبط الكتابة والقراءة والفهم، وكان لهم مصنفات[١] ومقالات ومحاضرات ومحاورات، تعدّل جوانب من مذهبه وتوجيهاته، فتحصّل أن وُضعتْ لتلك المقولات النظرية والعملية رموز تختصر الدلالة، وتعبر عن المفهوم الاصطلاحي.

ونحن ملزمون باستخدام مثل هذا الترقيم التعبيري في التأليف والنسخ والتحقيق، لتيسير الاستفادة من النص على كل قاصد أو قارئ. فهو يوضح معالم العبارات وارتباط بعضها ببعض، ويبيّن توزيع المعلومات الرئيسية والفرعية، والتراكيب المتواصلة والمتمايزة، ودلالات أساليب الخطاب، وما هو من المؤلِّف أو منقول عن الغير،[٢] وما سقط أو أقحم في التعبير...

ولكنك إذا تتبعت ما نشر من الكتب والرسائل والمقالات، لترصد أنماط التوظيف لهذا الترقيم، أخذك العجب والدهشة والدُّوار، لما يصدمك من تخبط واعتباطية واضطراب. ذلك لأنك لن ترى صفحتين من كتاب واحد لمؤلف، تتفقان في توزُّع العلامات المعتمدة. بله أن تتصفح كتابين لهذا المؤلف الكريم . فما قولك في النصوص، يكتبها المتطفلون على البحث والتراث والعلم والأدب في الشرق والغرب؟

لقد فُجع القرّاء لهذا الزاد الضخم المختلف المضامِين، في آمالهم ومقاصدهم، لكثرة ما اصطدموا به، من الفوضى والعشوائية والتناقض في توضُّع العلامات هذه. حتى إنهم ضاعت بين أعينهم وخبرتهم ومفاهيمهم، بما لقوا من الاضطراب، دلالات تلك الرموز، وأصبحوا يتجاهلون وجودها بين التراكيب والمفردات، يقرؤون النص باجتهاد وتكهنات على أنه مجرّد

(١) مثل كتاب: حروف التاج وعلامات الترقيم ومواضع استعمالها، مطبوعة ١٩٣١.

(٢) لا مانع من دخول «أل» على «غير» خلافًا لمن زعم المنع. انظر تهذيب الأسماء واللغات ٢ : ٢ : ٦٥-٦٦.

منها، ولا علاقة له بها. بل إن المشرفين على الأبحاث العربية والإسلامية، في الشرق والغرب، ليطلبون من الباحثين والمحققين عدم الاهتمام بذلك، لأنه عندهم غير لازم ولا مفيد.

هذا وذاك هو ما اعترف لي به بعض أصدقائي الكرام، وهو أمر أعجب من العجب، أن تفقد علامات الترقيم وظيفتها، وتصبح غير لازمة ولا مفيدة، ضربًا من الزخرفة الاعتباطية، والزينة الشخصية، يقحمها الكاتب والناشر وراصف الأحرف. ومن ثَمّ يعود القارئ المفجوع إلى التكهن والظن في فهم النصوص، وهي كالأغفال من كل معلمة أو منارة.

علامات الترقيم العربية:

ونحن هنا نتلبّث قليلاً، بالدراسة والتفصيل، لعلنا نفجر جدولاً سائغًا، يغمر تلك البحيرة المتخبطة المعكرة، يغمرها بموجات رائقة عذبة، تزيل ما كان من الاضطراب والتسيب والعشوائية. وبذلك يتسنى لنا أن نعيد إلى الأذهان مفاهيم العلامات الدقيقة عند أجدادنا العرب والمسلمين، ونقدم إليهم أشهر هذه الرموز التعبيرية في كتابة العرب. فلْنبدأ بالتعرف لما يحمله الاصطلاح من المفهوم الدلالي.

إن الترقيم في الأصل مصدر للفعل الثلاثي المزيد بالتضعيف: رَقَّمَ، مبالغةً في الرَّقْمِ، أي: الكتابةِ للكلام مع نقط الحروف وتبيينها. ثم انتقل بالدلالة المجازية إلى التعبير عن وسم الشيء بعلامة تميزه وتدل على ثمنه أو صنفه، وتحسينه وتزيينه بالوشي والنقش والتخطيط.

وهو في الاصطلاح مستقى من الترقين، أي: ما يضعه أهل ديوان الخراج على الرقاع والتوقيعات والحسابات، من علامة سواد تُجعل قبالة بعض المواضع من تلك المسجَّلات ، تنبيهًا عليها لئلاّ يُتَوَهَّمَ أنها بُيِّضت

فتهملَ في الحُسبانات. يعني أن ما وضعتْ قربه يجب أن يراعى وقت الوصول إليه، لأنه واجب التنفيذ والأداء، ولمّا يؤخذ قبلُ في الحُسبان.(١)

وقد أقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة استعمال الترقيم، على أنه علامات اصطلاحية، توضع في أثناء الكتابة أو آخرها، كالفاصلة والنقطة وعلامتَيِ الاستفهام والتعجب، لتمييز بعض الكلام من بعض، أو لتنغيم الصوت عند القراءة. ثم خُصِّص لفظ «الترقيم» بإضافة كلمة «علامات» إليه، ليمتاز من المفهوم الاصطلاحي القديم، ويصير مفهومًا متميزًا، يحمل معنى التوكيد بهذا التضايف بين المترادفين.

ولكنك قد تراني أعبِّر أحيانًا عن هذا المفهوم الكتابي بـ «الترقيم التعبيري»،(٢) للدلالة على ما فيه من قيم معبرة، تساعد النص المكتوب، في استرداد الكثير الكثير مما افتقده، حين انتقل بالأنامل والقلم من الذهن إلى الأسطر، بدلاً من اللسان والبيان. ولسوف ترى المضامين المعنوية العجيبة التي تُشحن بها كل إشارة منه، إذا وقعت في موضعها من عبارات ما يسطره الإنسان. وها نحن أولاء نبسط بعض ذلك بالتفصيل:

١ ـ افتتاح كل فِقرة بفراغ في مقدار كلمة صغيرة، حين الكتابة، إشعارًا ببدء الموضوع، أو الانتقال فيه من فكرة إلى أُخرى جديدة أو فرعية، كالذي تراه في صفحات هذا الكتاب.

٢ ـ الفاصلة أو الفصلة أو الشَّولة (،) بين الجمل والتفريعات المتعاطفة، والتراكيب الطويلة في الجملة المديدة، وبين المنادى وجواب النداء، والقسم وجوابه، من الشعر والنثر. ولا يجوز أن تقع بين المتلازمين،

---

(١) الصحاح واللسان والتاج (رقن).

(٢) انظر علم التحقيق ص ٢٦٤ ـ ٢٧٤.

كالفعل والفاعل، والمبتدأ والخبر، والشرط وجوابه. اللهم إلاّ أنه إذا طال ما بين العنصرين من هذه المتلازمات في التعبير وجبت إذ ذاك فاصلتان تميزان ما هو مطوَّل، ليعود اتصالها في التعبير والتفكير.

٣ ـ النقطة (.) في ختام الكلام الذي يتم به المعنى، وفي ختام الفِقرة أو البحث، ولا تكون في الشعر أو في آخر البيت، إلاّ إذا كررت متوالية فيه، فتُسرد ثلاثًا للتعبير عن سقط أو نقص منه، على غرار ما سيرد تحت الرقم ١٠. وحبذا لو جعلت النقطة ضخمة في آخر الفِقرة، لتمييزها من النقاط التي بين الكلامين التامَّين.

٤ ـ النقطتان (:) بعد قول أو ما يشبهه أو إجمال، يليه المقول والمحكي والتفصيل والتفسير والتمثيل، في الشعر والنثر.

٥ ـ الشرطتان أي: خطا الاعتراض (ـ ـ) يحصر بهما الجملة الاعتراضية فقط. ويحسن ألّا يكونا في الشعر.

٦ ـ الاستفهام (؟) يكون وجهه إلى اليمين، في الشعر والنثر، بعد تمام العبارة الاستفهامية فحسب، لتميزها مما سواها، ولو كان جملة نداء.

٧ ـ التعجب (!) يقع في ختام العبارة التعجبية فقط، في الشعر والنثر أيضًا.[١]

٨ ـ النجم (*) يكون إشارة إلى التهميش في بعض العناوين التراثية المحققة، ويقع بين اثنين منه الشطرُ المفرد في وسط السطر، وتكون ثلاثة منه فاصلًا بين الموضوعات المتباينة، تحت فصل واحد أو تحت عنوان متميز، ولا يجوز وضعه في وسط البيت الشعري.

---

(١) ما يزعمه البعض، من انفعال في هذا المقام يشمل غير التعجب، هو رجم بالغيب، وليس له مفهوم ولا علامة في الترقيم العربي.

٩ ـ القوسان المعقوفتان [ ] لما يزيده المحقق أو الباحث تكملة لعبارة الغير، أو نقلًا من النسخ المساعدة والردائف للتحقيق، في الشعر والنثر.

١٠ ـ النقاط الثلاث (. . .) للتعبير عن بياض أو خرم أو إغفالِ ما لا يلزم في النص الشعري أو النثري.

١١ ـ الخط المائل (/) لتحديد بدء كل ورقة من ورقات الأصل في نصوص التحقيق. ويقع هذا أيضًا بين الأرقام التاريخية: تاريخ اليوم والشهر والسنة.

١٢ ـ الهلالان المزهَّران ﴿ ﴾ غير المصلَّبَينِ، ويقال لهما: الهلالان العزيزيّان أو القوسان العزيزيّتان، لحصر الآية الكريمة أو بعضها.

١٣ ـ الهلالان المزدوجان، أي: الأهلّة أو القُوَيسات « ». وهي علامات الاقتباس والتنصيص، للمحكي من العبارات وللكلام المنقول نثرًا فقط، كالحديثِ الشريف وأقوالِ العلماء والأدباء ما عدا الأشعارَ، والأمثالِ والعباراتِ المأثورة والحِكَمِ، ولبعض أسماء الكتب المسرودة في المتن إذا لم تكثر في مكان واحد.

١٤ ـ الهلالان، أي: القوسان الكبيرتان ( )، ويحصر بهما ما هو محكي من المفردات والتركيب، إذا وقع في نص ضمن الهلالين المزدوجين، وتحصر بهما أيضًا الموادُّ المعجمية التي يحال عليها في المتن أو الهامش.

١٥ ـ الشَّرطة، أي: الخط الأفقي الصغير (ـ) يقع بعد الأرقام التي يكون فيها تعداد لعناصر فكرة واحدة، وهو يَفصل بين الرقم والكلام، كما ترى هنا.

١٦ـ الخطان الأفقيان الصغيران (=) يقعان مرتين متواليتين: في آخر هامش الصفحة إذا لم يستوعب التعليقةَ الأخيرة، ثم في أول هامش الصفحة التالية، للدلالة على اتصال التعليقة في الصفحتين، ولا علاقة لهما بالموازاة.

ثم للتعليقات الهامشية، في البحث أو التحقيق، مثل هذه العلامات التعبيرية، مع فارق يسير يناسب أسلوب التحشية عند علماء العروبة والإسلام. وسوف ترى في النماذج المصورة أخيرًا أمثلة توضح لك ذلك.(١)

ولو تبصرت في مقاصد هذه الإشارات اللطيفة لأخذتك الدهشة، وتحقق لديك أنها فعلاً «ترقيم تعبيري»، كسائر المفردات والجمل والتراكيب. فالنقطة مثلًا تعني عدة جُمَل، هي: قف قليلًا، وانتهت العبارة، وسترد عبارة مستأنفة. أو قف طويلًا، انتهت الفكرة والفِقرة، وسيأتي ما بعدهما، أو لن يأتي شيء بعدُ لانتهاء الباب أو الفصل أو الكتاب.

والعجيب حقًّا أن النقطة هذه تستطيع أداء تلك المقاصد الدلالية المختلفة، وهي صورة وهمية، لأنها في الحقيقة مكان التقاء خطين متقاطعين، وليس لها طول ولا عرض ولا مِساحة إلاّ في الذهن والخيال. ولهذا كان أجدادنا العرب والمسلمون في القديم يعبرون عن النقطة بدائرة صغيرة، يريدون بها «الصِّفر» المستخدم في العدد، أي: الفراغ والتوقف والانقطاع، لأن الكلام قد تَمَّ، ولا بدَّ من التوقف في اللفظ والفهم والكتابة، قبل البدء بما سيكون بعد.

وأعجب منها في الدلالة هذا الفراغُ الذي خلفناه الآن هنا في أول السطر، ويكون في كل فِقرة. إنه صورة سلبية صماء عجماء، تقدم للقارئ بصمت وخواء معلومة واضحة دقيقة. وهي أن الفكرة التالية متميزة، واردة

---

(١) انظر علم التحقيق ص ٣٦٢ ـ ٤١٦.

في أول البحث أو الباب أو الفصل. وقد يكون قبلها تمام فكرة أيضًا، أو اتصال جانبي بها.

لقد استطاعت هذه الصورة الرمزية الخفية أن تزوّد القارئ بمعان، كما رأيتَ، تحتاج للتعبير عنها إلى كلام حقيقي يستغرق سطرًا أو أكثر. ومع هذا كله فقد أصبح بعض المستغربين، أي: المقلدين لرجالات الغرب، يتجاهلون تفرّغ ما هو أول الفقرة، ليخلطوا الحابل بالنابل، ويفسدوا على الناس التفكير الواعي المنتظم. فليس لك بعد هذا أن تستخف الأمر، وتتخذ علامات الترقيم زخرفًا اعتباطيًّا، لا ضابط له ولا مرام.

ولا تنس أن الإكثار من توزيع علامات الترقيم يسبب عرقلة التفكير والفهم، ويشوه النصوص بزخرفات عشوائية، وأن توظيف هذه الرموز يتوقف عليه الاستيعاب الدقيق، لما في النص من معلومات ومفاهيم وأحكام واحتجاج واستدلال ونتائج علمية أو فنية، توحد بين ما يستفيده القُرّاء الذين هم متساوون في الثقافة والمعرفة والخبرة والذكاء.

الترقيم وإشارات المرور:

لقد بدا لي أن الترقيم التعبيري يُشبه، في كثير من دلالاته،[(١)] إشارات

---

(١) انظر مشكلة العامل النحوي ص ١٨٧ ـ ١٨٩. ويستحسن عدم وقوع: الأقواس والأهلة في أول الفقرة، أو الفاصلة والنقطة والنقطتين وعلامتَيِ الاستفهام والتعجب في أول السطر، أو نقاط الحذف في آخر ما بين قوسين. ويجب إغفال الفاصلةِ المنقوطة بواحدة أو اثنتين، والخطِّ الصغير مع نقطتين عموديتين، وكثرةِ النجوم في المتن، وخطِّ الاعتراض بين ركني الجملة وفي أوائل الفقرات، والبدءِ بفقرة جديدة بعد الشعر فيما ليس بانقطاع، والأشكالِ الهندسية من مثلث ومربع وأسهم وخطوط مائلة وحلزونية وشاقولية وأفقية وزوايا وبقاع سود ونجوم رباعية على شكل مُعَيَّن قائم في =

المرور وما يرافقها، في الإنشاء الهندسي للمدن والشوارع والأرصفة وتوزيع مرافق الحياة. فاستخدامُه بنجاح كفيل بالعطاء الجزيل، والخدمة الوفية لمقاصد المؤلفين والعلماء والأدباء. وإذا قارنت النص المرقَّم في كتاب بما ذكرتُ تبدّى لك ما يلي:

فمتن الشارع المعبَّد للسيارات والعجلات والدراجات والحمير يمثل متن الصفحة. وعلى جانبيه مرتفعان مرصوفان للمشاة يناظران الحاشيتين المفرغتين لتسجيل ما يعن من تعليقات جانبية. والأبنية في صدر الشارع تقابل التعليقات الهامشية المتممة للبحث أو لتحقيق النص. والرصيف أمام الأبنية

= النص، والتفننِ في توزيع العلامات على غير هدى ولا سيما علامة التعجب والفاصلة، لكثرة الخلاف في ذلك بين التنظير والتطبيق. وكذلك ما يقترحه بعض الزملاء من أنواع الأقواس للأرقام وأسماء المصادر والمؤلفين، والرموز الكثيرة المعقدة المبعثرة التي تزيغ الأبصار والبصائر. وإذا اجتمع علامة ورقم إحالة بين قوسين قدمت العلامة عليه. إلا أنه إذا كانت العلامة نقطتين قبل قوسي التنصيص قدم رقم الإحالة.

أما بعض المستشرقين فيرون أن استخدام هذه الرموز غير مناسب في الكتب العربية، ويرون أنها غير معروفة الدلالة، ثم يقترحون أقواسًا مزوّاة لحصر الزيادات ورسومًا حلزونية وبقاعًا لبدء الفقرة، وترقيمات وتقطيعات متعددة أو قطع للكلمة الواحدة بين سطرين أيضًا، على غرار ما في لغاتهم العجماوات. ومنهم من نشر كتابًا كاملًا في ٢٠٠ صفحة، من دون فِقر أو علامات عدا الفاصلة والنجم والفراغ، كما ترى في مطبوعة «المفصل». وكذلك الحال في كتاب «المقتضب» لابن جني، نشره مستشرق مأفون لدرجة الدكتوراه تحت عنوان «المغتصب»، وجعل نسق صفحاته من اليسار إلى اليمين، على غرار لغته العجماء.

انظر النماذج المصورة قبلُ، وقواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها ص ٥٠ ـ ٥٤ وقواعد نقد النصوص ص ١٠٤ ـ ١٠٥ وقواعد تحقيق المخطوطات ص ٢٣ والترقيم وعلاماته في اللغة العربية مطبوعة ١٩١٢ وحروف التاج وعلامات الترقيم ومواضع استعمالها مطبوعة ١٩٣١ ومناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين ص ١٩٧ ـ ٢١١ والمساعد على بحث التخرج ص ٨٣ ـ ٩٠ وكيف تكتب بحثًا ص ١٦١ـ ١٦٦، والمفصل للزمخشري والمقتضب لابن جني في المطبوعتين الاستشراقيتين.

هو الخط الفاصل بين المتن والهامش. والخطوط المتوازية في الشارع بين الرصيفين لعبور أولئك المشاة كالصلة بين النص والتعليقات لبيان حركة التفكير والتعبير. ومنتصف الشارع كنهاية السطر في وسط الفِقرة، وكالوقف القبيح عند القُرّاء. فهو يعني وجوب متابعة الانطلاق، خشية الانقطاع وفقد المصير.

ثم تجد إشارات المرور: الضوءُ الأحمر للوقوف المتلبِّث يناظر النقطة، والأصفرُ بعده للتنبيه على استئناف الانطلاق بهدوء هو كالفراغ الدقيق بعد النقطة، مهيِّئًا لمباشرة النطق بعد الانقطاع. وكذلك يكون الأصفر قبل الأحمر استعداداً للوقف بلا مفاجأة ولا عنف مثل الفراغ قبل النقطة، والأخضرُ للاستئناف بعد ذلك التوقف إزاء النقطة. وفقدُ الإشارات، أو دوامُ ذبذبة الأحمر وحده، لمتابعة السير جوازًا هو كالوصل الاضطراري في الجواز. وعواملُ الحفر والهدم للإصلاح والبناء، أو إشارةُ شرطي السير المفاجئة، تناظر الوقف الاضطراري في القراءة.

وللخروج من شارع فرعي إلى رئيسي إشارة كخط الاعتراض، تعني التوقف اليسير، لِما سيعرض من مرور الغير، منتهيًا بالعودة إلى متابعة السير. وكذلك ما تصادفه من دائرة في وسط الساحة أو الشارع أو المنعطف، فهو نظير خطَّيِ الاعتراض. والخط المديد في وسط شارع ذي اتجاهين شبيه بالفراغ الواصل بين الشطرين للبيت الشعري.

أما الرصيف المعترض في آخر الشارع المغلق فيفيد الوقف النهائي، كما يشار لآخر الفِقرة أو الفصلِ أو البابِ في البحث. وأما الخط المتعرج في شاخصة المرور فللدلالة على منعطفات وتعرجات متوالية، أي: احتجاجات جدلية تتطلب النظر للقبول أو الرد. وأما علامة التعجب في الشاخصة فتشير إلى اضطراب، فيما سيلي من الطريق، يثير استغراب الإنسان وتنبُّهه الزائد، كالذي يكون من عبارات تعجبية.

يضاف إلى هذا كله ما يرد، من لافتات كبيرة تحدد اسم المدينة أو القرية، وأُخَرَ صغيرةٍ للأحياء والشوارع المتطاولة، وثالثةٍ أصغر لِتوزع الحي أو الشارع في فروعه المتواصلة، شأن ما تجده من عناوين رئيسية أو جانبية أو فرعية في الموضوع الكتابي.

وقد تجد بعد هذا في بعض الشوارع إشارات لمواقف خاصة، بأناس أو مؤسسات أو دوائر. وهي تماثل ما يقابلك في الموضوع، من تلبث لبعض الملحوظات الذاتية المتميزة، لا يقرّها إلاّ القليل من ذوي الرأي.

مخاطر العشوائية:

أنت معي بلا شك، بعد هذا كله، في أن هذه الرموز المقرَّرة للسير يجب التقيد بما تتضمنه من التوجيه، لدى جميع المواطنين والغرباء الزائرين، حفاظًا على مصالح العباد والبلاد. فتصوّرْ أمة تجاهلت ذلك، أو اختلف أبناؤها وضيوفها في إدراك مقاصده، وفي الاستجابة لما يفهمون من التوجيهات: كم يكون لأُمورهم وشؤون حياتهم، من اضطراب وبلاء ودمار!

ومن ثَمّ تستطيع أن تتصور أيضًا ما نعانيه نحن وأبناؤنا المنكوبون، في التفكير والتعبير والتلقي، من اختلال وفساد وانهدام، لِما بيننا من تناقض في مراعاة علامات الترقيم، واختلاف في فهم مقاصدها وتعابيرها، وشقاق في توظيفها، ثم ما ينتشر بيننا من تفهم فوضوي لما نكتب أو نقرأ أو نسمع، من المسطور في كتاب أو المتلوّ أو المُنشَد.

وحسبك أن تقارن بعض النصوص أو الصفحات من كتاب واحد، لترى بنفسك العشوائية في توزيع هذه العلامات إن وُجدتْ، بحيث لا تقف على صفحة توافق أُخرى، بل قد لا ترى التوافق في ذلك بين فِقرتين

أو سطرين. فكيف بك، إذا تصفحتَ عدة كتب أو مقالات لهذا الكاتب التعيس، أو لمجموعة من التعساء؟

لحقٌّ أنك تجد نفسك في متاهات متنافية متناقضة، تضعك في دُوّامة أو زوبعة، وتشعرك بما يعانيه القُرّاء المساكين، المنكوبون بأرباع العلماء والأدباء والمحققين، وبما ابتُلوا به من تشتيت وتضليل وتعميات.

ويمكنك أن تجرب ذلك بنفسك، تكلف مجموعة من الطُّلاّب في أرفع مراتب الدراسة العليا، أو من المدرسين والمؤلفين، بل من أساتذة كلية جامعية أو قسم في كلية للعلوم أو الآداب أو الفنون، تكلفهم صفحة واحدة معينة غفلاً من الترقيم، لينسخها الجميع مرقَّمة، ثم تتفحص ما يتحصل بين يديك.

وذمِّي مباح لك، إن وجدت نموذجين متوافقين في توظيف وسائل التعبير هذه، بين المفردات والجمل والعبارات والفِقرات. إنك بكل تأكيد وجزم لترينَّ أعجب العجب. وما أمر القراءات للنثر والتلاوات للآيات الكريمة والإنشادات للشعر التعيس بأهون من ذلك العجب العُجاب.

فتصورْ معي مدينة يختلف استعمالُ علامات المرور فيها ومفهومُ كل منها بين الشوارع المتعددة، وطريقةُ تتابعها وتعاونها لتنظيم المرور، ويتناقض أبناؤها وزوّارها، في التعامل مع أنظمة الشوارع ولافتات التوجيه وشاخصات المرور وعلاماته، كيف تكون أحوالهم في يوم واحد؟ وما هي حصيلة الاختلاف والتناقض والاضطراب والتسيب والاعتباطية، من البلاء والفتك والدمار؟

لا جرم أنه سيَعجِز رجالات الشرطة والطب والمستشفيات والصيدليات والقضاء المستورد ومكاتب دفن الموتى، عن العمل في ذلك التيه المتراكم، من الكوارث والقتل والانتحار والدمار، لأنهم أنفسهم شريحة

من ذلك المجتمع التعيس المنكوب، يشاركونه ما هو فيه من الجهل والتنطع والاعتساف.

فلنتَّقِ الله في توظيف هذا الترقيم التعبيري، كما في الاستجابة لإشارات المرور. والتقوى تعني مراقبة النفس لطلب رضا الله بفعل الصواب، ولتجنب غضبه في الانسياق مع الانحراف. إذ ذاك نستطيع أن نكون، في السر والعلن والنية والتصرف، بانضباط وعمل إيجابي متقن، يحبه الرحمن، وييسر له سبيل العطاء والنماء والبركة.

والتقوى ههنا خير نفعًا وأثرًا مما يوجَّه إلى الناس من الشعارات المسطحة الهفهافة نحو: الحضارة والتقدم والنظام والذوق والفن، لأن التقوى في مضمونها الإيماني واضحة المعالم مثيرة للطاعة بين أبنائنا، وشاملة لكل تلك الشعارات مع زيادات كثيرة جدًّا، لا تستوعبها الكلمات. بل إن الشعارات المطروحة لا مفهوم لها بين أفراد أمتنا العربية المسلمة.

وهذا يعني أن نعود إلى سبيل الصحة اللغوية في الكتابة، فنتقن وسائل الترقيم التعبيري، لنستطيع أن نعلّمها أبناءنا في طفولتهم، ثم نأخذ أنفسنا وطُلاّبنا بلزوم التوظيف الدقيق لها في كل عبارة يسطرون.

وبذلك يستقيم لهم ولنا السبيل، وتصبح كتاباتنا وجهًا عربيًّا مشرقًا، يؤدي كامل المرامي والمعاني والظلال، وينقل إلى الأجيال حقائق علمية وفنية وفلسفية وتجارب فنية ناصعة البيان، كفيلة بتكوين العقل السليم والتفكير السديد والانفعال الرفيع واللسان المبين والقلم الأمين. وبذلك أيضًا نُعدّهم لصنع حضارة عربية الوجه واليد واللسان، تزحم بمنكبيها قُمامات العولمة القديمة والتبويش المعاصر المأفـون. ويمكنك أن تتلمس الصورة العملية لتوظيف العلامات في مواقعها، من صفحات هذا الكُتيِّب المتواضع.[١]

(١) انظر النماذج المصورة في الصفحات التالية.

« وأسْوأُ السَّرِقةِ الَّذي يَسرِقُ صَلاتَهُ » . قالوا : وكيفَ يسرق صلاته ؟ يا رسول الله . قال : « لا يُتِمُّ رُكوعَها ولا سُجُودَها » .[١] وعلق الزرقاني على هذا بقوله : « أعاد (لا) دفعاً لتوهم الاكتفاء بالطمأنينة في أحدهما » .

وربما كان تكرارٌ أكثرُ زيادة في التوكيد ، نحو قوله ﷺ عن سورة الفاتحة ، لأُبيّ بن كعب : « إنِّي لأرجُو ألاّ تَخرُجَ منَ المَسجِدِ ، حَتَّى تَعلَمَ سُورةً ، ما أنزَلَ اللهُ في التَّوراةِ ، ولا في الإنجِيلِ ، ولا في القُرآنِ ، مِثلَها » .[٢]

وجواب الشرط يحتاج أحياناً إلى توكيد ، فيرد معه حرف المعنى لهذه الوظيفة . ومنه قول الله تعالى : ﴿حَتَّى إذا فُتِحَت يأجُوجُ ومأجُوجُ . . . واقتَرَبَ الوَعدُ الحَقُّ، فإذا هِيَ شاخِصةٌ أبصارُ الَّذينَ كَفَرُوا ﴾ .[٣] فالشرط بـ « إذا » هنا جاءت « إذا » الثانية رابطة لجوابه ، وأكد ذلك بالفاء توثيقاً وتحقيقاً . وقريب من هذا قول قُرَيط بن أُنَيف :[٤]

لَو كُنتُ مِن مازنٍ لَم تَستَبِحْ إبِلي ... بَنُو اللَّقِيطةِ ، مِن ذُهلِ بنِ شَيبانا
إذاً لَقامَ بِنَصرِي ، مَعشَرٌ خُشُنٌ ... عِندَ الحَفيظةِ ، إن ذُو لُوثةٍ لانا

حيث وردت « إذاً » مؤكدة للجواب المبدل مما قبله .

وقد يحتاج الشرط نفسه إلى مؤيدات معنوية ، توثق العلاقة السببية بين صدره وعجزه . فقول المعري :

ولَمّا أن تَجَهَّمَني مُرادي ... جَرَيتُ ، مَعَ الزَّمانِ ، كَما أرادا

ترى فيه زيادة « أن » بعد « لمّا » تؤكد ارتباط الجواب بالشّرط ، وتحقق ترتبه

---

(١) الحديث ٤٠١ في الموطأ . وانظر شرح الزرقاني على الموطأ ١ : ٣٤١ .
(٢) الحديث ١٨٣ في الموطأ . وانظر فتح الباري ٨ : ٦ .
(٣) الآيتان ٩٦و٩٧ من سورة الأنبياء .
(٤) شرح الحماسة ص٢٢ .

ولا شك أن النحاة امتدت خلافاتهم إلى المحدّثين ، وتناولوا أيضًا بعض رواة الحديث بالتخطئة والتعقب والردّ ، فشعر الرُواة أن هؤلاء تجاوزوا حدود مُهِـمّـتـهم في التقعيد والضبط ، وتسلطوا على أصحاب البيان والعلم الشريف . ولقد حفظ لنا التاريخ بعض النماذج الكافية الدلالة ، منها أن أبا عمرِو بنَ العلاء ، لما سمع كلام الإمام أبي حنيفة يتكلم في الفقه ويلحن ، على ما قيل ، استحسن كلامه واستقبح لحنه فقال : « إنه لَخِطاب ، لو ساعده صواب » ، ثم قال لأبي حنيفة : إنك أحوج إلى أصلاح لسانك من جميع الناس .[1]

وروي أنه كان أبو عمرو هذا مع بعض العلماء في مجلس الأعمش بالكوفة ، فحدثهم الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود أنه قال : « كان النبي ﷺ يتخوَّلـنا بالموعظة ، مخافةَ السّآمة علينا » . ثم فسر بقولـه : أي : يتعاهدنا . فتعقبه أبو عمرو بأن هذا التفسير يقتضي أن الرواية : « يتخوَّننا » ، وأن معنى يتخولنا هو : يستصلحنا . قال الأعمش : وما يدريك ؟ فأجابه أبو عمرو ، كما زعموا : « إن شئتَ أن أُعلمك أن الله - جل وعز - لم يُعلمك من العربية حرفًا واحدًا أعلمتك » . فصارالأعمش بعد ذلك يدنيه ، ويسأله عن الشيء إذا أشكل عليه .[2]

وهذا إمام النحاة سيبويه يقصد مجلس حماد بن سلمه ، الإمام في الحديث والنحو البصري والمشهور بالفصاحة ، مع قوم ليكتبوا عنه الحديث . فكان مما أملى عليهم : « صَعِدَ رَسُولُ الله ﷺ الصَّفا » ،[3] فقال سيبويه : « صـعِـد النبيُّ ﷺ الـصَّـفـاءَ » . قال سلمة : « يا فارسي ، لا تقل الصَّفاء ، لأن الصَّفا مقصور » . فلما فرغ سيبويه من مجلسه كسر القلم

(١) مجالس العلماء ص ٢٣٧ .

(٢) المصدر المتقدم ص ١٧٧ و ٢٣٨.

(٣) انظر الحديث ٤٦٨٧ في البخاري و ١ : ٢٨١ في المسند . وكان حماد قد خطّأ سيبويه في اللغة أيضًا . فتح المغيث شرح ألفية الحديث ٢ : ٢٢٨ وتدريب الراوي ٢ : ١٠٦ . وكل ماذكر في هذا الموضوع عن سيبويه هو أخبار ليس لها سند علمي موثق . فليحرر . والله أعلم .

١١

باب ٣

فَعْلٍ وفَعَلٍ من المُعتَلّ[١]

يقال: هو العَيبُ والعابُ.

وهو الذَّيمُ والذّامُ. قال [أبو يوسف]:[٢] وسمعتُ أبا عمرٍو يقول: هو الذّامُ والذّابُ، والذَّيمُ والذَّينُ.[٣] واحدةٌ بالنون والأُخرى بالميم. قال:[٤] وقال الأنصاريّ:[٥]

رَدَدنا الكَتِيبةَ، مَفلُولةً ‍ ‍ ‍ بِها أفْنُها، وبِها ذانُها

قال: وقال الكَنّاز الجرميّ:[٦]

* بِها أفنُها وبِها ذابُها *

بالباء.

وهو الأيدُ والآدُ، للقُوّةِ. قال الله، جلَّ ثناؤه:[٧] ﴿والسَّماءَ بَنَيناها بأيدٍ﴾ أي: بقُوّة. وقال:[٨] ﴿واذكُرْ عَبدَنا داوُدَ ذا الأيدِ﴾. ثم قال العَجّاج:[٩]

مِن أن تَبَدَّلتُ، بآدِي، آدا ‍ ‍ ‍ لَم يَكُ يَنآدُ، فأمسَى انآدا

وقال الأعشى:[١٠]

قَطَعتُ، إذا خَبَّ رَيعانُها، ‍ ‍ ‍ بِعَرفاءَ، تَنهَضُ في آدِها

---

(١) ورد هذا الباب في الأصل و ط بعد الباب ٦. ب: باب فَيع وفاع.

(٢) من النسخ.

(٣) في النسخ «الذام والذين والذان والذاب». وهو المناسب للشاهد الشعري.

(٤) سقط «واحدة... وقال» من ك و س، و«الأخرى... قال» من م.

(٥) قيس بن الخطيم. ديوانه ص ٢٧ والتهذيب ص ١٣٢. والمفلولة: المهزومة. والأفن: الفساد والحمق.

(٦) التهذيب ص ١٣٢ ومعجم الشعراء ص ٢٤٧ وتهذيب الألفاظ ص ٢٢٥ - ٢٢٦. وفي النسخ: «كناز الجرمي». وفي حاشية ك عن ابن السيرافي صلة للشاهدين مع بيان للقافيتين.

(٧) الآية ٤٧ من سورة الذاريات.

(٨) الآية ١٧ من سورة ص.

(٩) ديوانه ٢: ٢٨٢ والتهذيب ص ١٣٢. وينآد: ينعطف. وفي حاشية ك عن ابن السيرافي صلة البيتين مع الشرح.

(١٠) ديوانه ص ٧١ والتهذيب ص ١٣٣. وقطعت أي: اجتزت البيداء. وخب: اطرد وتتابع. والريعان: السراب. والعرفاء: الناقة الطويلة العنق. وفي حاشية ك عن ابن السيرافي صلة البيت مع الشرح.

سورة الأنبياء — الجزء السابع عشر

فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ
(٥٨) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩)
قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ
عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ
هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ
هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَىٰ
أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ
رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (٦٥) قَالَ
أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا
يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩)
وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠) وَنَجَّيْنَاهُ
وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١) وَوَهَبْنَا
لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٢)

١- ﴿قالُوا﴾ بعد رُجوعهم، ورؤيتهم ما فُعِل: ﴿مَن فَعَلَ هٰذا بِآلِهتِنا؟ إنَّهُ لَمِنَ الظّالِمِينَ﴾ ٥٩ فيه. ﴿قالُوا﴾ أي: بعضهم لبعض: ﴿سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُم﴾ أي يَعيبهم، ﴿يُقالُ لَهُ إبراهِيمُ﴾ ٦٠. قالُوا: فأْتُوا بِهِ علَى أعيُنِ النّاسِ﴾ أي: ظاهرًا، ﴿لَعَلَّهُم يَشْهَدُونَ﴾ ٦١ عليه أنه الفاعل.

٢- ﴿قالُوا﴾ له بعد إتيانه: ﴿أأنتَ﴾ - بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفًا، وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه - ﴿فَعَلتَ هٰذا بِآلِهتِنا؟ يا إبراهِيمُ﴾ ٦٢. قالَ﴾ ساكتًا عن فعله: ﴿بَل فَعَلَهُ كَبِيرُهُم هٰذا. فاسأَلُوهُم﴾ عن فاعله، ﴿إن كانُوا يَنطِقُونَ﴾ ٦٣. فيه تقديم جواب الشرط، وفيما قبله تعريض لهم بأنّ الصنم المعلومَ عجزُه عن الفعل لا يكون إلٰهًا.

٣- ﴿فرَجَعُوا إلَى أنفُسِهِم﴾ بالتفكّر، ﴿فقالُوا﴾ لأنفُسهم: ﴿إنّكُم أنتُمُ الظّالِمُونَ﴾ ٦٤ أي: بعِبادتكم من لا ينطق. ﴿ثُمَّ نُكِسُوا﴾ من الله ﴿علَى رُؤُوسِهِم﴾ أي: رُدّوا إلى كُفرهم، وقالوا: والله ﴿لَقَد عَلِمتَ ما هٰؤُلاءِ يَنطِقُونَ﴾ ٦٥، أي: فكيف تأمرنا بسُؤالهم؟ ﴿قالَ: أفتَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه ﴿ما لا يَنفَعُكُم شَيئًا﴾، من رِزق وغيره، ﴿ولا يَضُرُّكُم﴾ ٦٦ شيئًا، إن لم تعبدوه؟ ﴿أُفٍّ﴾ - بكسر الفاء وفتحها - بمعنى مصدر أي: نتنًا وقُبحًا ﴿لَكُم ولِما تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه. ﴿أفلا تَعقِلُونَ﴾ ٦٧ أنّ هذه الأصنام لا تستحقّ العِبادة ولا تصلح لها، وإنما يستحقّها الله تعالى؟ ﴿قالُوا: حَرِّقُوهُ﴾ أي: إبراهيمَ ﴿وانصُرُوا آلِهتَكُم﴾ أي: بتحريقه، ﴿إن كُنتُم فاعِلِينَ﴾ ٦٨ نُصرتَها.

- فجمعوا له الحطب الكثير وأضرموا النار في جميعه، وأوثقوا إبراهيم وجعلوه في مَنجَنيقٍ ورمَوه في النار. قال الله تعالى: ﴿قُلْنا: يا نارُ، ني بَرْدًا وسَلامًا علَى إبراهِيمَ﴾ ٦٩. فلم تُحرق منه غيرَ وِثاقه، وذهبت حرارتها وبقيت إضاءتها. وبقوله «سلامًا» سلم من الموت ببردها. وأرادُوا بِهِ كَيدًا﴾ - وهو التحريق - ﴿فجَعَلْناهُمُ الأخسَرِينَ﴾ ٧٠ في مُرادهم، ﴿ونَجَّيناهُ ولُوطًا﴾ ابنَ أخيه هارانَ من العِراق، ﴿إلَى الأرضِ الّتي ركنا فِيها لِلعالَمِينَ﴾ ٧١ بكثرة الأنهار والأشجار - وهي الشام. نزل إبراهيمُ بفِلَسطينَ، ولوطٌ بالمؤتفكة، وبينهما يوم - ﴿ووَهَبنا لَهُ﴾: براهيم - وكان سأل ولدًا كما ذُكر في «الصافات» - ﴿إسحاقَ، ويَعقُوبَ نافِلَةً﴾ أي: زيادةً على المسؤول، أو هو ولد الولد، ﴿وكُلًّا﴾ أي: هو ولداه ﴿جَعَلنا صالِحِينَ﴾ ٧٢ أي: أنبياء، ﴿وجَعَلناهُم أئمّةً﴾، بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء: يُقتدى بهم في الخير، ﴿يَهدُونَ﴾ الناس بأمرِنا﴾ إلى دِيننا، ﴿وأوحَينا إلَيهِم فِعلَ الخَيراتِ وإقامَ الصَّلاةِ وإيتاءَ الزَّكاةِ﴾، أي: أن تُفعل وتُقام وتُؤتى منهم ومن أتباعهم. وحذفُ هاء

---

(١) فعله: قام به. والظالم: المتجاوز للحد بجرأته. وسمعنا: أدركنا بأسماعنا. وفتى: شابًا. ويقال له: يطلق عليه. وقالوا أي: النمروذ وأصحابه. وائتوا به: أحضِروه. وعلى أعينهم أي: معاينًا بمرأى منهم. والأعين: جمع عين. ولعلهم: ليكون لهم. ويشهدون: يذكر بعضهم ما سمعوا منه، أو ما رأوا من تكسيره. (٢) تركه: ترك الألف وعدم إدخالها. فالمحلي يريد قراءات أربعًا. وهي بالترتيب: التي أثبتناها و«آنت» و«آأنت» و«أانت». وفعله: قمت به. فاسألوهم: استخبروهم. وينطقون أي: ممن ينطق. والظاهر أن قول إبراهيم من المعاريض، أي: التورية ليفهم منه السامع غير مراد المتكلم. وتسميته أحيانًا بالكذب هو لتشابه الصورتين ظاهرًا. (٣) الأنفس: جمع نفس. وهي العقل. ونكسوا: انقلبوا. وعلى رؤوسهم أي: كان رجوعهم إلى الحِجاج كمن قُلب رأسًا على عقب. وعلمت: دريت يقينًا. وتعبدونه: تقدسونه. وينفع: يفيد. ويضر: يقوم بما هو مكروه. وبفتحها يريد القراءة «أفَّ». فالمذكور هنا قراءتان، خلافًا لما ذكر في الآية ٢٣ من سورة الإسراء. انظر تعليقنا على تفسير الآية المذكورة. ونتنًا: كراهة رائحة وخبثًا. وفي النسخ: «تبًا». انظر «المفصل». وغيرها تفسير لـ «من دون الله». وتعقلون: تفكرون وتتدبرون لتعلموا. وقالوا أي: النمروذ وأصحابه للقوم. وحرقوه: أهلكوه تحريقًا بالنار. وانصروها: أعينوها بالانتقام ممن آذاها. وفاعلين: مريدين وقاصدين. (٤) قلنا: أمرنا بالإرادة أمر خلق. وكوني: صيري. وبردًا: ذات بُرود، أي: ابردي بردًا غير ضار. والسلام: السلامة والنجاة. والوِثاق: ما أوثق به. قال أبو حيان: «وقد أكثر الناس في حكاية ما جرى لإبراهيم. والذي صح هو ما ذكره - تعالى - من أنه ألقي في النار، فجعلها الله بردًا وسلامًا، وخرج منها سالمًا، فكانت أعظم آية». البحر ٦:٣٢٨. وأرادوا: قصدوا. والكيد: تدبير الهلاك. وجعلنا: صيّرنا. والأخسرين: المبالغين في الخسران. ونجيناه: انقذناه وأخرجناه. وهاران هو الأصغر أخو إبراهيم. والأكبر هو عم إبراهيم أبو سارة. والعراق يعني: مدينة كوثى من العراق وفيها نمروذ. وباركنا: جعلنا الخير دائمًا. والعالم: الجنس من المخلوقات. والمؤتفكة: مدن قرب حمص، كذّب أهلها لوطًا فدُمرت. ويوم أي: مسيرة يوم. ووهبنا: منحنا إجابة لدعائه. والصافات أي: الآية ١٠٠ من تلك السورة. وإسحاق: ابن إبراهيم، ويعقوب: ابن إسحاق. والصالح: من كانت أعماله على ما يرضي الله. والأئمة: جمع إمام. وهو الذي يأتم الناس بعمله. وبإبدال الثانية يريد القراءة «أيمّة». ويهدونهم: يرشدونهم. والأمر: الوحي والتكليف. وأوحينا إليهم: بلّغناهم على لسان جبريل. والفعل: العمل. والخيرات: الشرائع المنزلة. وإقام الصلاة: أداؤها كاملة. وإيتاء الزكاة: دفعها لمن يستحقها. وتخفيف أي: لإضافته إلى الصلاة خُفّف بحذف التاء. والعابد: المقدّس المطيع.

فإن قيل: أنت تنسى ما بين العلماء الأفذاذ المتقنين، من خلاف في توظيف هذه العلامات. فالجواب: أن خلافهم متوضّع في الفاصلة المنقوطة، وقليل من مواقع النقطة. وهذا أمر قد عرضنا لشيء منه، حين أغفلنا الفاصلة المنقوطة لما تحمله من تسيّب وإشكال، واقترحنا تعيين موقع النقاط. أما الخلافات الباقية فقد تقع بينهم في الصفحة مرة واحدة، وليس في مثل هذا كبير إشكال. والخلاف المنهجي معتبر، ويكون فيه توجيه بحسب الفهم للمضمون وتواصلاته، ولا يسوّغ لأحد استمراره في العشوائية والفوضى والتسيب والاضطراب.

هذا هو المبدأ النظري، تنطلق منه الإجراءات التنفيذية بالتزام الدقة والوفاء، للتعبير عما تتلقفه السطور من مقاصد الأداء الصوتي في الكلام. ويكون استخدام ذلك في الشعر والنثر، كما فصّلنا قبل، وفي النصوص النبوية المشرّفة دائماً، وفي الآيات الكريمة، حين ترد بين تضاعيف الأبحاث والدراسات والنشرات التراثية المحققة. بل إنه ليجوز وضع ذلك أيضاً في المصاحف الشريفة، وهي بالرسم العثماني التوقيفي المعروف.

فقد طُرح هذا الموضوع على لجنة الفتوى في الجامع الأزهر منذ ٧٠ سنة، حين كان للأزهر رجال يتكلمون من قلوبهم عن علم وتقوى وصلاح وجهاد، فصدر عنها الجواب أن اللجنة لا ترى مانعاً منه،(١) شريطة ألا يسبب لبساً على القارئ. واحتجت لذلك بما أُضيف إلى المصاحف، من علامات التجويد والإعراب والإعجام والوقف والتعشير، وبقول الزيلعي من علماء الحنفية عنه: هو وإن كان مُحدَثاً فمستحسن. وكم من شيء يختلف باختلاف الزمان والمكان!

(١) مجلة الرسالة المصرية ٢١٦: ١٣٩٥ في ٢٣ آب ١٩٣٧.

على أنه لا بد من إشارة مهمة هنا، وهي أنه قد يُضطَرّ الكاتب أو المحقق أن يخالف بعض تلك الأصول الترقيمية المقررة، حين تطول العبارات جدًّا، أو تجتمع علامات مختلفة أو متماثلة، أو تتداخل وتتعاظل في أمكنة متقاربة من العبارة، أو حين يكون قطع اضراري للفِقرات، كالذي تحصّل لديّ في: تفسير الجلالين.[١]

ولكم عانيت في تثبيت ما وضعته من علامات، في الكتب المؤلفة والمحققة! فقد طالما تدخل راصفو الأحرف والمشرفون على الطباعة فيما سجلته بقلمي من ذلك، تدخلوا بالتبديل والتقحم والحذف والزيادة، تعالماً وتفاصحاً بما أرى أنه من الربا في حفظ الأمانات. وكنت أحاول إصلاح ما أمكن من خياناتهم للأمانة، ولكن هيهات هيهات! فنزعت الكثير الكثير، وعدّلت ما تيسّر، وبقيت آثار من الربا المحرَّم. فمعذرةً إن وقفتَ في كتبي على شيء من ذلك.

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخرًا.

(١) انظر تفسير الجلالين الميسر ص(ع ـ ف) من المقدمة.

المحتوى



هذا الكتاب

تأصيل علمي للترقيم التعبيري . فالمقولات اللغوية تفقد كثيراً من دلالاتها وظلالها، حين تنقلها الأنامل إلى السطور ، وهذا يقتضي رموزاً كتابية تتخلل العبارات ، لتسد الثغرات وتقيم نسج الخطاب ، وتزوده بالقدرة على الأداء الوافي والبيان والإبلاغ . وقد كان في الجاهلية تنبه إلى ذلك ، باستعمال بعض الوسائل البدائية ، فيما يُكتب بين السادة والأمراء .

وعندما جاء الدين الحنيف ، فرض بقراءات القرآن ، وروايات الحديث وعلومه والرسائل وأساليب الخطاب ، نماذج من علامات الترقيم ، وُضِعتْ لها أصول نظرية وعملية في التراث الإسلامي قراءةً وكتابة ، وجُعل لكل منها مفاهيم بيانية ، ورموز لفظية تتضمن جملتين أو أكثر ، تسدد مقاصد الخطاب من تعبير وعاطفة وخيال وإيحاء .

وقد أخطأ المستشرقون في إدراك تلك المفاهيم ، فوضعوا لها رموزاً خطية تخالف مصطلح المسلمين ، ونقلوا بعضها بجهل واعتباط إلى ما شوهوه من تراثنا الكريم ، زاعمين أنهم المبتكرون لهذا الفن التعبيري ، ومضيفين صوراً من الخزعبلات المضللة المفسدة لأساليب الكتابة ، فصارت بين أيدينا للزينة والنثر العشوائي بلا حدود . ولذلك أصبح جمهور القراء يتجاهلون حضورها ، ويفهمون النصوص كما يتيسر .

ثم جاء هذا الكتيّب يكشف حقيقة الموضوع ، ويحدد دلالات علامات الترقيم الإسلامية العربية ، والصورة المشرقة لتوظيفها في الأداء، ويوضح الشّبه الواقعي بينها وبين علامات المرور ، ويظهر أضاليل الاستشراق وأتباعه من المستغربين ، بنماذج من الأحكام والنصوص والصور المطبوعة والمخطوطة .

فإليك - يا أخي - ذلك كله بإخلاص وصفاء ، في صفحات معدودة، وأسلوب منهجي تاريخي ، وكلمات ناصعة البيان ، ونماذج تحقق بالمثال ما لا يبلغه المقال .



هاتف: ٢٢١٤٩٦٧ ٢١ ٠٢١ - تلفاكس: ٢٢٨٩٣٤١ ٢١ ٠٢١

www.dar-almultaqa.com E-Mail: info@dar-almultaqa.com